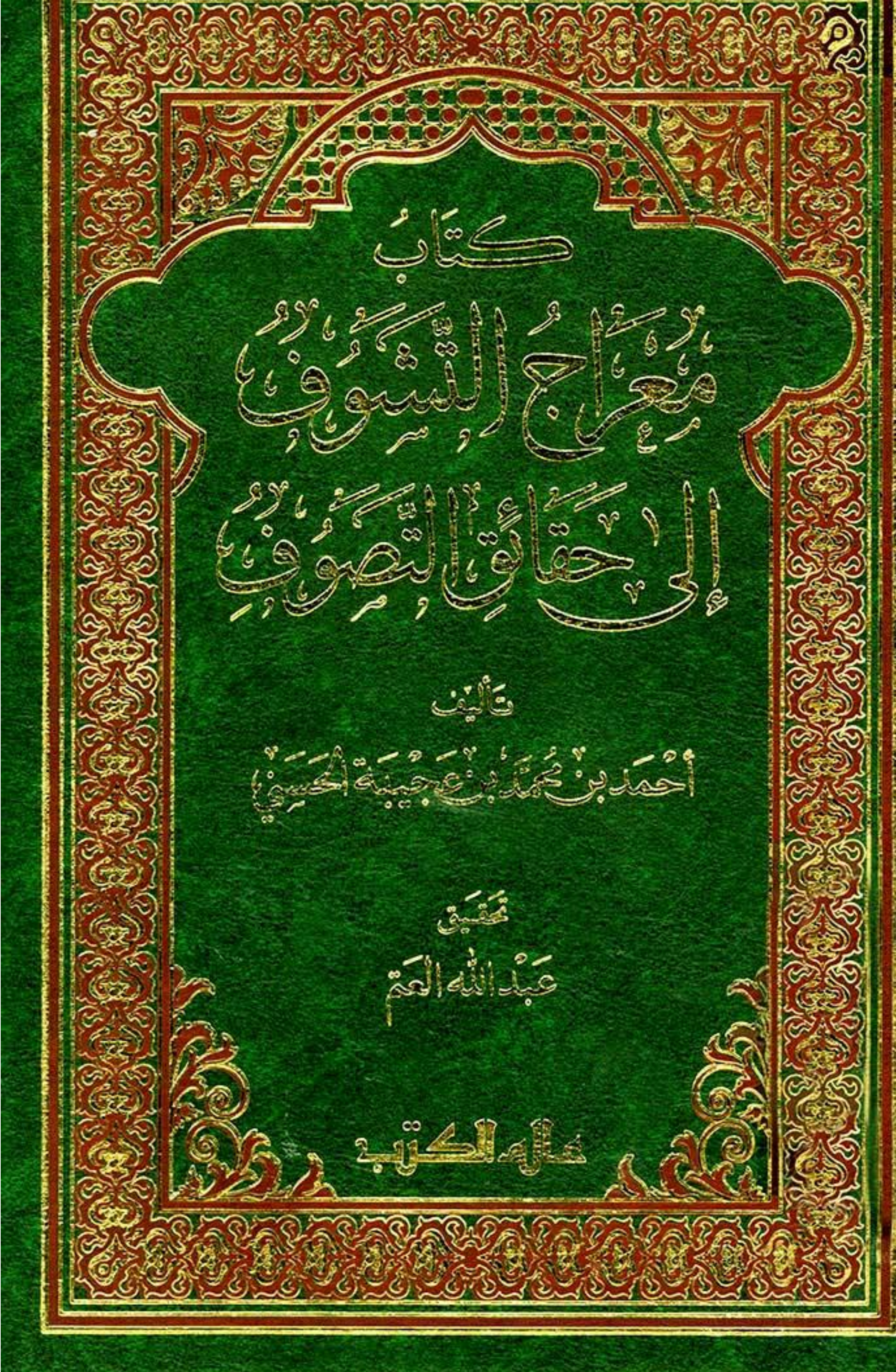


كتاب
معراج التشوف
إلى حقائق التصوف
تأليف
أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني
تحقيق
عبد الله العم
عالم الكتب



كتاب

مِعْرَاجُ التَّشَوُّفِ إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ





عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت لبنان
ص.ب: ٨٧٢٣ - ١١ برقياً: نابعلبكي
تلفون: ٣١٥١٤٢ - ٨١٧٤١٨ (١ ٩٦١ ٠٠)
جوال: ٣٨١٨٣١ ٣ ٩٦١ ٠٠
فاكس: ٣١٥١٤٢ ١ ٩٦١ ٠٠

WORLD OF BOOKS
FOR Printing, Publishing & Distribution
Beirut - Lebanon
P.O.Box : 11-8723 Cable : Nabaalbaki
Tel : 00961 1 817418 - 00961 1315142
Mobile : 00961 3 381831
Fax : 00961 1 315142
E.Mail : alamko@dm.net.lb

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو اختزال مادته بطريق الاسترجاع، كما يمنع الاقتباس منه أو التمثيل أو الترجمة لأية لغة أخرى، أو نقله على أي نحو، وبأية طريقة، سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة خطية مسبقة من الناشر.

كتاب
معراج التشوف
إلى حقائق التصوف

تأليف
أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني

تحقيق
عبد الله العم

عالم الكتب



مقدمة المحقق

الحمد لله الذي اتصف بالحق، وتفرد بالغنى عن جميع الخلق، وخص بفضله من شاء من الخلائق فعرج به إلى أوج سماء الحقائق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد جامع المنطوق والمفهوم، وعلى آله وأصحابه نجوم العلوم.

أما بعد،

فهذا كتاب معراج التشوف إلى حقائق التصوف للإمام البارع، والعالم المتقن شيخ الطريقين وعمدة الفريقين، أبي العباس أحمد بن عجيبة الحسني المغربي، وهو كتاب نفيس في بابه، لا يستغني عنه أبناء الطريق لما فيه من مباحث وتحقيق، عالج فيها المؤلف مجموعة من المصطلحات التي يستخدمها القوم في سيرهم وسلوكهم نحو دار الآخرة، وبسط المؤلف الحديث فيها عن آداب السلوك، والمقامات كالإخلاص، والصدق والصبر، والورع والزهد والحب، والفراسة، وغير ذلك مما هو موجود في ثنايا هذا الكتاب.

وعلى الجملة فنحن أمام مؤلف هو كالدليل لأبناء الطريق، فابن عجيبة عالم تضلع في علوم الشريعة واللغة، ورسخت قدمه فيها، وخاض في علوم التصوف ذوقاً وحالاً ومقاماً، وصحب أهل الأذواق والقلوب وسلك مسلكهم، حتى انجلت

بصيرته، وتفجّرت ينابيع الحكمة في قلبه، وكان له في هذا المقام مدد واسع وفيض لا ينقطع.

والحمد لله الذي أعانني على إتمام تحقيق هذا الكتاب وإخراجه بهذه الحلة.





ترجمة الإمام ابن عجيبة[1]

اسـمـه:

هو الإمام العلامة المفسر أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد، المعروف بابن عجيبة. المكنى بأبي عباس، الحسني نسباً، التطواني داراً، الفاسي تعلماً، المالكي مذهباً، الشاذلي طريقة، أعجوبة زمانه.

مـولـده:

ولد الإمام ابن عجيبة في قريش أعجبيش، من قبيلة أنجرة التي تسكن الجبال المحيطة بمدينة تطوان الواقعة في أقصى شمال المغرب، ولد سنة ١١٦١ هـ[2].

ولد في عائلة مشهورة بالصلاح.

نشاته العلمية:

أقبل الشيخ على حفظ القرآن، وهو في سن مبكرة، وقد

---

(١) شجرة النور الزكية، مخلوف، ص٤٠٠؛ اليواقيت الثمينة، الأزهري، (١/ ٧٠)، فهرس الفهارس، الكتاني، (٢/ ٨٥٤)؛ الطريقة الشاذلية وأعلامها، درنيقة، ص (٩٢ ـ ٩٤).

(٢) الفهرسة، ابن عجيبة، ص ١٦.

تميز الشيخ بالقدرة على التركيز العلمي، ورحل إلى مدينة القصر الكبير وأقام فيها نحواً من عامين، اجتهد خلالها في تحصيل العلم حتى قال عن نفسه: أهملت نفسي، ونسيت أمرها، وكنت أقرأ سبعة مجالس بين الليل والنهار[1].

بعد ذلك ارتحل إلى تطوان، وهو ابن العشرين، وأقام فيها، وأقبل على تحصيل العلم في شتى الفنون، فقرأ التفسير، والحديث، والفقه والمنطق واللغة.

وجلس للتدريس في مساجد تطوان ومدارسها بعد أن نبغ في العلم وفاق أقرانه في الفهم، وكان قد بلغ تسعاً وعشرين من العمر.

قال الشيخ بعد جلوسه للتدريس: فكنت في علم الظاهر نتعلم ونعلّم فما تركت العلم قد بعد التصدر للتعليم، نعلّم من تحتنا ونأخذ عمن فوقنا[2].

وبعد ذلك توجه إلى فاس، وهو في سن الأربعين، فسمع من علمائها وأخذ عنهم، فأخذ عن محدث عصره التاودي بن سودة، ودرس التفسير، والفرائض، واللغة، ومكث كذلك سنتين، عاد بعدها إلى تطوان ليتابع تدريسه وتأليفه.

قال الشيخ: والذي حصلناه من علوم الأذهان: علم المنطق، والكلام على مذهب أهل السنة، والمهم من علم الهيأة.

---

(١) الفهرسة، ص ٢٩.
(٢) الفهرسة، ص ٧٦.

ومن علوم الأديان: علوم القرآن، وخصوصاً التفسير، وحصلّنا الفقه بأنواعه وأصول الفقه، وأصول الدين، وحصلت أيضاً علم الحديث، وعلم السِّير، وعلم المغازي، والتاريخ والشمائل.

ومن علم اللسان: علم اللغة والتصريف والنحو، والبيان، بأنواعه، أما التصوف فهو علمي ومحط رحلي فلي فيه القدم الفالح[١].

وهكذا كان حظه من ثقافة عصره حظاً وافراً، فقد أحاط بسائر علوم وقته.

شيوخه:

تتلمذ الشيخ ابن عجيبة على كثير من علماء عصره وأشهرهم:

١ ـ القاضي عبد الكريم بن قريش (ت ١١٩٧ هـ) أخذ عنه الشيخ في تطوان الكثير من العلوم والفنون[٢].

٢ ـ أبو الحسن على بن أحمد بن شطير الحسني (ت ١١٩١) أخذ عنه الشيخ بتطوان ألفية ابن مالك، ومختصر خليل، وغير ذلك[٣].

---

(١) الفهرسة، ص ١٠١.

(٢) تاريخ تطوان ٩٦/٣، الفهرسة ص ١١.

(٣) تاريخ تطوان (٣/ ٩٥ ـ ٩٦)، الفهرسة، ص ٣١.

٣ ـ أبو عبد الله محمد بن الحسن الجنوي الحسني (١١٣٥ ـ ١٢٠٠ هـ) أخذ عنه تفسير القرآن، والبخاري سماعاً، وبعضه شرحاً، كذلك مسلم ومختصر خليل، والورقات للجويني، والرسالة القشيرية في التصوف، وحِكَم ابن عطاء، والنصيحة الكافية للشيخ زروق[1].

٤ ـ العلامة المحدث التاودي بن سودة المري (١١١١ ـ ١٢٠٩ هـ)، أخذ عنه صحيح البخاري وصحيح مسلم، وحصل منه على إجازة مطلقة عامة[2].

٥ ـ الحافظ أبو عبد الله الطيب بن عبد المجيد بن كيران (١١٧٢ ـ ١٢٢٧ هـ)[3].

٦ ـ العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بنيس الفاسي (١١٦٠ ـ ١٢١٣ هـ)، أخذ عنه الشيخ ابن عجيبة علم الفرائض وكتاب التسهيل لابن مالك، وحصل منه على إجازة عامة[4].

٧ ـ أبو عبد الله محمد بن علي الورزازي[5]، أخذ عنه الشيخ تلخيص المفتاح في البيان، وجمع الجوامع في الأصول، وإجازة عامة.

---

(١) شجرة النور الزكية، ٧٧٥، تاريخ تطوان (٣/ ٩٦).
(٢) شجرة النور الزكية، ص ٣٧، فهرس الفهارس (١/ ٢٥٨).
(٣) فهرس الفهارس، (٢/ ٨٤٨)، شجرة النور الزكية، ص ٣٧٦.
(٤) شجرة النور، ص ٣٧٤، الفهرسة، ص ٣٦.
(٥) فهرس الفهارس، (٢/ ١١٢)؛ الفهرسة، ص ٣٧.

تصوفه:

بعد أن نال الحظ الأوفر من علوم عصره العقلية والنقلية حبب إليه سلوك طريق التصوف، ووجد الشيخ ابن عجيبة في الشيخ العربي الدرقاوي(١) شيخاً استجمع آداب الرائد المربي، فاتصل بالشيخ محمد البوزيدي الغماري(٢)، التلميذ للشيخ الدرقاوي، وأخذ عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية، ثم انتقل به إلى سيدي العربي الدرقاوي(٣).

أعطي الشيخ مرتبة الإمامة والاقتداء والتربية والتكميل، وكان له في ذلك باع طويل، فقد كان حجة الطائفة الدرقاوية مبيناً لأحكامها، وناشراً لأعلامها، سبر على علومها حتى صار ينبوعاً لشموسها وأقمارها ونجومها(٤).

---

(١) هو أبو المعالي العرب بن أحمد الحسني الشهير بالدرقاوي، نسبة إلى جده محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة، ولد في عام ١١٥٠ هـ بقبيلة بني زروال شمال المغرب، واشتغل بقراء العلم بفاس، ثم لقي الشيخ علي الجمل وسلك على يديه. أسس الطريقة الدرقاوية الشاذلية. من مؤلفاته: الرسالة، جواهر القرطاس، مناقب الشيخ علي بالجمل. توفي سنة ١٢٣٩ هـ أصحاب الدرقاوي، ص ٦١؛ الطريقة الشاذلية وأعلامها، ص ١٢٩.

(٢) هو العارف بالله أبو البقاء عبد الوارث بن عبد الله اليلعوني. كان ﷺ كبير الشأن كبير المعرفة، ألف في تأليف القوم مؤلفات عديدة، وشرح «المباحث الأهلية» شرحاً مفيداً، وكان له كرامات كثيرة يغلب عليه الخمول، وكان يرى الفساد في لقاء الأمراء، أكثر من الصلاح لذلك لم يتعرض لهم في شيء ولم يرفع حاجة إليهم حتى توفاه الله سنة ٩٧٠ هـ. موسوعة أعلام المغرب العربي، وفيات سنة ٩٧٠ هـ.

(٣) موسوعة أعلام المغرب، ص ٢٤٨٢.

(٤) طبقات أصحاب الدرقاوي، ص ١٤٢.

لقد نال ما نال وتكلم على أسرار أهل الكمال، فأبدى علوماً غريبة، وأسراراً عجيبة، وأجمعت على ولايته أهل المغرب بأسرها[1].

مؤلفاته:

أَلَّف رضي الله عنه في التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، أما أكثر مؤلفاته ففي التصوف، وجلّ مؤلفاته لا يزال مخطوطاً.

من مؤلفاته:

أولاً: في التفسير:

١ ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، طبع مصر.

٢ ـ التفسير الكبير للفاتحة، وهو مطبوع.

٣ ـ التفسير الوسيط للفاتحة، وهو مخطوط في خزانة الرباط.

٤ ـ التفسير المختصر للفاتحة، توجد منه نسخة في مخطوطة في دار الكتب المصرية، ويقع في ورقتين.

٥ ـ الدرر المتناثرة في توجيه القراءات المتواترة، ذكره في الفهرسة، ص ٣٨

٦ ـ الكشف والبيان في متشابه القرآن.

ثانياً: الحديث والأذكار النبوية:

١ ـ حاشية على الجامع الصغير للسيوطي، توجد منها نسخة

---

(١) طبقات أصحاب الدرقاوي، ص ١٤٢.

بالخزانة العامة في المغرب.

٢ ـ أربعون حديثاً في الأصول والفروع والرقائق. ذكرها في الفهرسة.

٣ ـ الأربعون السنية في الأذكار النبوية، منها مخطوطة بمكتبة تطوان ونسخة بالخزانة العامة بالمغرب.

٤ ـ الأدعية والأذكار الممحقة للذنوب والأوزار، منها مخطوطة بتطوان.

ثالثاً: الفقه والعقائد:

١ ـ حاشية على مختصر خليل.

٢ ـ رسالة في العقائد والصلاة، منها مخطوطة بدار الكتب المصرية.

٣ ـ تسهيل المدخل لتنمية الأعمال بالنية الصالحة عند الإقبال، منها نسخة بتطوان.

٤ ـ سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر، مخطوطة بالخزانة العامة بالمغرب.

رابعاً: في اللغة:

١ ـ الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الآجرومية، وهو مؤلف شرح فيه الشيخ مقدمة ابن آجروم النحوية، شرحاً جمع بين النحو والتصوف، فيذكر عبارة المؤلف، ويشرحها بمقتضى علم النحو ويتبعها بالمعنى الإشاري، توجد منها نسخة في الخزانة العامة في الرباط. وقد قام الشيخ أحمد الكوهن بتجريده مما يتعلق بالنحو، واقتصر

على الإشارة الصوفية، وقد طبع هذا التجريد.

خامساً: التراجم:

١ ـ أزهار البستان في طبقات الأعيان، توجد منه نسخة مخطوطة في خزانة الرباط.

٢ ـ الفهرسة، صدرت بمصر باللغة العربية سنة ١٩٩٠م بتحقيق د. عبد الحميد صالح.

سادساً: التصوف:

١ ـ الأنوار السنية في شرح القصيدة الهمزية، منها نسخة مخطوطة بتطوان.

٢ ـ الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، وهو شرح كبير لمنظومة ابن البنا السرقسطي في قواعد الصوفية والآداب، وهو مطبوع في عالم الفكر بمصر.

٣ ـ اللواقح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية، مطبوع في دار الكتب العلمية.

٤ ـ إيقاظ الهمم في شرح الحكم، طبع في مطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٥، ودار الكتب العلمية، بيروت.

٥ ـ ديوان قصائد في التصوف، وهو مطبوع مع الفهرسة.

٦ ـ رسالة في ذم الغيبة ومدح العزلة والصمت، يوجد منها نسخة في الهيئة العامة للكتاب، مصر.

٧ ـ شرح أسماء الله الحسنى، توجد منها نسخة في خزانة القرويين.

٨ ـ شرح البردة للبصيري.

٩ ـ شرح الحزب الكبير للشاذلي، منه نسخة مخطوطة بتطوان.

١٠ـ شرح كتاب الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين.

١١ـ شرح القصيدة الخمرية لابن الفارض، بالهيئة العامة للكتاب، مصر.

١٢ـ شرح القصيدة المنفرجة لابن النحوي، منه نسخة خطية في تطوان.

١٣ـ شرح القصيدة الهائية في التصوف للرفاعي، منه نسخة خطية في الرباط.

١٤ـ شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية، منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية.

١٥ـ شرح تائية البوزيدي، نسخة خطية في الرباط.

١٦ـ شرح على تائية الشيخ علي بن مسعود الجعيدي التطواني.

١٧ـ شرح رائية البوزيدي في السلوك، طبع في المغرب.

١٨ـ شرح صلاة عبد السلام ابن مشيش، منه نسخة في الرباط.

١٩ـ شرح على أبيات (توضأ بما الغيب إن كنت ذا سر)، منه نسخة خطية في الرباط.

٢٠ـ شرح على مقطعة في محبة الله، الششتري، منه نسخة بدار الكتب المصرية.

٢١ـ وكتابنا هذا معراج التشوف إلى حقائق التصوف، وقد طبع هذا الكتاب سابقاً في مطبعة الاعتدال بتعليق محمد بن أحمد الحسني.

٢٢ـ فضائل نور سيد المرسلين وذكر أطواره في الكونين، مطبوع بدار الكتب العلمية بعناية الشيخ عبد السلام العمراني.

٢٣ـ منازل السائرين والواصلين وأسرار علم الحقيقة ودوائر الحضرة وأصناف الأولياء البررة، وهو مطبوع بدار الكتب العلمية.

٢٤ـ شجرة اليقين فيما يتعلق بكون رب العالمين، مطبوع بدار الكتب العلمية.

٢٥ـ كشف النقاب عن سر لباب الألباب، مطبوع بدار الكتب العلمية[١].

وفاته:

توفي الشيخ رحمه الله في السابع من شوال سنة ١٢٢٤ هـ وكانت وفاته في قبيلة بني سلمان بغمارة حيث كان ابن عجيبة في زيارة لشيخه البوزيدي، فأصابه وباء الطاعون فتوفي في دار شيخه متأثراً بهذا الوباء، فغسله شيخه وصلى عليه ودفن بغمارة، ثم نقل إلى تطوان.

---

(١) اعتمدت في حصر مؤلفات الشيخ ابن عجيبة على مقدمة كتاب البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، طبعة الدكتور حسن عباس زكي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

منهجي في تحقيق هذا الكتاب:

اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على نسخة الشيخ محمد بن أحمد الحسني المطبوعة في مطبعة الاعتدال في دمشق سنة ١٩٣٧. وتحدثت عن مؤلف الكتاب ومؤلفاته، أما عملي في التحقيق فقد اعتمدت فيه الخطوات التالية:

١ ـ خرَّجت الآيات والأحاديث النبوية من مظانّها.

٢ ـ جعلت لكل صفة دليلاً من الكتاب والسنة.

٣ ـ قمت بالاستعانة بكتب الشيخ ابن عجيبة للزيادة والشرح والإفادة في بعض المصطلحات، مثل كتاب «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد»، و«إيقاظ الهمم في شرح الحكم» وغيرها.

٤ ـ كما قمت بشرح الألفاظ الغريبة معتمداً بذلك على المعاجم.

عبد الله العتم

بيروت في ١٠ محرم ١٤٢٩ هـ.



بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.
قال الشيخ الإمام الحبر البحر الهمام الصوفي الكامل والعارف الواصل بحر الحقائق العرفانية وشمس المعارف العيانية أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني رضي الله عنه وأرضاه وجعلنا وإياه في حضرة القدس متقلبه ومثواه، الحمد لله الذي حقق الحقائق وأوضح الطرائق والصلاة والسلام على مولانا سيد الخلائق المخصوص بتواتر المعجزات وتظاهر الخوارق ورضي الله تعالى عن أصحابه الأعلام الذين أظهر الله بهم دينه القويم في أقصى المغارب والمشارق.

(وبعد) فعلم التصوف هو سيد العلوم ورئيسها، ولباب الشريعة وأساسها وكيف لا وهو تفسير لمقام الإحسان الذي هو مقام الشهود والعيان[1]، كما أن علم الكلام تفسير لمقام =

---

(١) قال الشيخ الحافظ أبي الفضل سيدي عبد الله بن الصديق الغماري في كتاب الأعلام، (ص ٥٩): إن الدين ينبني على ثلاثة أركان: الإيمان والإسلام والإحسان.
وأن التصوف هو مقام الإحسان، وإن المقامات والأحوال التي يتكلم فيها الصوفية كلها واردة في الكتاب أو السنة، بالعبارة الصريحة، أو الإشارة الواضحة. وإن الصحابة خصوصاً منهم أهل الصفة كانوا متخلقين =

= بأخلاق الصوفية، وكذلك التابعون، وتابع التابعين، ومن جاء بعدهم.
ولذا، فلا عجب أن يكون موقف علماء المسلمين من الصوفية موقف التأييد والتعاضد والمساندة، وكان أئمة الفقه والحديث وأكابر أعلام الإسلام يصحبون أهل الطريق، ويحضرون مجالس وعظهم، ويبالغون في الثناء عليهم، وينقلون عباراتهم وإشاراتهم في دروسهم وتصانيفهم، وهذه بعض الأدلة على ذلك. ـ نقل الإمام زروق في قواعده، والتثاني عن الإمام مالك أنه قال: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق. فانظر كيف اعتبر الإمام مالك التصوف والفقه جزأين متلازمين لا يتم أحدهما إلا بالآخر.
ـ قال الإمام الشافعي ﷺ: صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين، وفي رواية سوى كلمات، قولهم الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، وقولهم: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل. وقولهم: العدم عصمة، والإمام الشافعي يعد الصوفية من الأبدال.
ـ روى الحاكم والخطيب بسند صحيح عن إسماعيل بن إسحاق السراج، قال: قال لي أحمد بن حنبل «بلغني أن الحارث هذا ـ المحاسبي ـ يكثر المكث عندك، فلو أحضرته منزلك، وأجلستني في مكان أسمع كلامه، ففعلت. وحضر الحارث وأصحابه، فأكلوا ووصلوا العتمة، ثم قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت إلى النصف من الليل، ثم أخذ الحارث في الكلام، وكأن على رؤوسهم الطير، فمنهم من يبكي، ومنهم من يخر، ومنهم من يزعق، وهو في كلامه، فصعدت الغرفة فوجدت أحمد بن حنبل قد بكى حتى غشي عليه، فلما تفرقوا قال أحمد: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا.
وقال الحافظ الخطيب في تاريخ بغداد: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يحكي عن ابن الأعرابي قال: قال حمزة: كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل، ويقول: ما تقول فيها يا صوفي؟
ـ كان أبو العباس ابن سريج أحد أئمة الشافعية يحضر مجلس الجنيد ويسمع كلامه، ويقول: أشهد أن لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل.
وروى القشيري في الرسالة، والخطيب في تاريخ بغداد من طريق =

الإيمان وعلم الفقه تفسير لمقام الإسلام، وقد اشتمل حديث جبريل[1] عليه السلام على تفسير الجميع، فإذا تقرر أنه أفضل العلوم

= أبي الحسن، علي بن إبراهيم الحداد قال: حضرت مجلس أبي العباس بن سريج، فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن حتى أعجبت به، فلما رأى إعجابي قال: هذا ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد.

ـ ذكر التاج السبكي، أن الأئمة كانوا يحضرون مجالس أبي نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم القشيري، وهو صوفي كأبيه، وممن كان يحضر دروسه في الكلام، الإمام أبو إسحاق الشيرازي، فقيه العراق وشيخ الشافعية على الإطلاق، قال السبكي أيضاً: ومما عظم به أبو نصر أن إمام الحرمين نقل عنه في كتاب الوصية في النهاية. وهذا فخار لا يعدله شيء.

ـ قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله، وهو من فقهاء المالكية، ومشايخ الصوفية في كتاب لطائف المنن: سمعت الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، وهو إمام مجتهد، يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي. ـ كان العلماء الأجلاء يحضرون دروس تاج الدين بن عطاء الله السكندري وكانت حلقات دروسه في الأزهر أرحب الحلقات يرتادها أعظم الجماعات، ممن أخذ منه الطريقة الشاذلية، وتخرج به في التصوف، الإمام المجتهد، قاضي القضاة تقي الدين السبكي وقرأ عليه كتاب الحكم، وقال فيه: إنه متكلم الصوفية، على طريق الشاذلية. قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام: والله ما قعد على قواعد الشريعة التي لا تنهدم إلا الصوفية وذلك منذ أن خالط الإمام الشاذلي، ولم ينكر على الصوفية إلا الجهال.

(١) عن عمر بن الخطاب بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا». قال صدقت معجبنا له يسأله ويصدقه. =

تبيّن أن الاشتغال به أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى لكونه سبباً للمعرفة الخاصة التي هي معرفة العيان، وقد اشتمل على حقائق غريقة وعبارات دقيقة اصطلح القوم على استعمالها فينبغي الوقوف على معانيها لمن أراد الخوض فيه والوقوف على معانيه، وقد أردت بحول الله وقوته أن أجمع نبذة صالحة من حقائق هذا الفن واصطلاحاته لعل الله ينفع بها من يريد الوقوف على هذا العلم وسميتها **معراج التشوف إلى حقائق التصوف**[1] وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق، وسأذكر لكل حقيقة ما يتعلق بها بدايةً ووسطاً ونهاية.

= قال فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال صدقت، قال فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»، قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، قال لي: «يا عمر أتدري من السائل»، قلت: والله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». الحديث رواه مسلم برقم (١) وأبو داود برقم (٤٦٩٥).

(١) المعراج في اللغة من عروج، عرج وعروجاً، معرجاً ارتقى، والمعراج والمِعرج: السلم والمصعد. (القاموس المحيط، ١/ ١٩٩).
أما في اصطلاح الصوفية: فهو عبارة عن القرب، فمعراج الأنبياء يكون في وجه الإظهار بالشخص والجسد، ومعراج الأولياء يكون من وجه الهمة والأسرار، ويكون ذلك بأن يُجعل الولي مغلوباً في حالة حتى يسكر، وعندئذ يغيب عنه سره في الدرجات، ويزيد بقرب الحق، وعندما يعود إلى حال الصحو تكون تلك البراهين كلها قد ارتسمت في قلبه، ويحصل له علمها، (الهجويري، كشف المحجوب، ص ٤٧٦).

التصــوف[1]:

علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، أو غيبة الخلق في شهود الحق، أو مع الرجوع إلى الأثر، فأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة، واشتقاقه إما من الصفاء لأن مداره على التصفية أو من الصفة لأنه اتصاف بالكمالات، أو من صفة المسجد النبوي لأن الصوفية متشبهون بأهل الصفة في التوجه والانقطاع أو من الصوف لأن جل لباسهم الصوف تقللاً من الدنيا وزهداً فيها اختاروا ذلك لأنه كان لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا الاشتقاق أليق لغة وأظهر نسبة لأن لباس الصوف حكم ظاهر على الظاهر ونسبتهم إلى غيره أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأقرب. يقال: تصوف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمص إذا لبَس القميص والنسبة إليه صوفي[2].

---

(١) التصوف: من الصفاء، أو الصوف، أو من أهل الصُّفة، أو من كلمة فيلوسوفوس اليونانية، بمعنى حب الحكمة، وقيل: التصوف هو تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية، مجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازل الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، والنصح لجميع الأمة، واتباع الرسول ﷺ على الشريعة، وهو وليد نزعة الزهد. (الموسوعة).
قال القشيري: الصفاء محمود بكل لسان، وضده الكدورة مذومة، وقال: هذه الكلمة غلبت على هذه الطائفة (الرسالة، ص ٢٧٩).

(٢) قال القشيري (الرسالة، ص ٢٧٩): ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج تعيينهم إلى قياس لفظي واستحقاق اشتقاق وتكلم الناس في التصوف ومعناه، وفي الصوفي ومن هو؟ فكل عبر بما وقع له.

قال سهل[1] الصوفي: من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله عن البشر واستوى عنده الذهب والمدر أي لا رغبة له في شيء دون مولاه. وقال الجنيد[2] الصوفي: كالأرض يطرح عليه كل قبيح ولا يخرج منه إلا كل مليح. وقال أيضاً: الصوفي كالأرض يطأه البر والفاجر، وكالسماء يظِل كل شيء وكالمطر يسقي كل شيء[3].

التـــوبـــة[4]:

الرجوع عن كل فعل قبيح إلى كل فعل مليح، أو عن كل

---

(1) هو سهل بن عبد الله التستري أحد أئمة القوم، ومن أكابر علمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص، والرياضات، وعيوب الأفعال، صحب خاله محمد بن سوار وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه إلى مكة، وكان كبير الشأن في باب المعاملات والورع، ومشهوراً بالكرامات، وكانت السباع تجيء إلى بيته فيدخلهم فيضيفهم ويطعمهم اللحم. وله مؤلفات منها: التفسير الصوفي، وكتاب المعارضة. توفي سنة ٢٧٣ هـ (السلمي، طبقات الصوفية، ص ٢٠٦/ أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/ ١٨٩).

(2) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، سيد الطائفة رحمه الله، كان أبوه يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريري، أصله من نهاوند ومولده ونشأته في العراق، تفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، صحب السري السقطي، والحارث بن أسد المحاسبي وهو من كبار أئمة القوم وسادتهم، ومقبول على جميع الألسنة، وله مجموعة من الرسائل إلى إخوانه منها: شرح شطحات أبي اليزيد البسطامي، توفي سنة ٢٩٧ هـ (مناقب الأبرار، ١/ ٣٠٨/ تاريخ بغداد، ٧/ ٢٤١).

(3) الرسالة القشيرية، ص ٢٨١.

(4) قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور، ٣١] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ =

وصف دنيّ إلى التحقق بكل وصف سني، أو عن شهود الخلق إلى الاستغراق في شهود الحق وشروطها الندم والإقلاع ونفي الإصرار، وأما رد المظالم ففرض مستقل تصح بدونه كما تصح من ذنب مع الإصرار على آخر من غير نوعه(١) فتوبة العامة من

= [التحريم، ٨].

قال ﷺ: «إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى مسيء النهار، ولمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» (رواه مسلم، رقم (٢٧٥٩). وقال ﷺ: «ولو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم». قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ١٤). وقال: أخرجه ابن ماجة من حديث أبي هريرة وإسناده حسن. وقال ﷺ: «الندم توبة». (أخرجه ابن ماجة رقم (٤٢٥٣) وابن حبان، (٢/ ٣٧٧)، والحاكم، (٤/ ٢٧١) وصححه. والتوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائطه (مفردات الراغب، ص ١٧٦). قال الإمام الغزالي: والأخبار في ذلك لا تحصى، والإجماع منعقد من الأمة على وجوبها إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات مبعدات من الله تعالى، وهذا داخل في وجوب الإيمان ولكن قد تدهش الغفلة في الحال. (إحياء علوم الدين، ٤/ ١٣).

(١) قال الإمام النووي في شروط التوبة: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: **أحدها**: أن يقلع عن المعصية، **والثاني**: أن يندم على فعلها، **والثالث**: أن يعزم ألا يعود إليها. فإن فقد أحد الثلاثة فلا تصح التوبة، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف أو نحوه مكنه منه، أو طلب عفوه. وإن كانت غيبة استحله منها. (رياض الصالحين، ص ١١). =

الذنوب، وتوبة الخاصة من العيوب[1] وتوبة خاصة الخاصة من كل ما يشغل السر عن حضرة علام الغيوب، وكل المقامات تفتقر إلى التوبة، فالتوبة تفتقر إلى توبة أخرى بعدم نصوحها والخوف يفتقر إليها بحصول الأمن[2] والاغترار، والرجاء بحصول القنوط والأياس، والصبر بحصول الجزع، والزهد بخواطر الرغبة والورع بتتبع الرخص[3]، أو خواطر الطمع، والتوكل بخواطر التدبير والاختيار والاهتمام بالرزق، والرضا

= قال الشيخ ابن عجيبة في منازل السائرين (ص ٢٥٥): ولها آداب، الاجتهاد في أعمال البر جبراً لما فات، وكثرة التضرع والاستغفار والصلاة على النبي المختار، وصحبة الأولياء والأبرار، ومجانبة الغافلين والفجار.

(١) أي الهفوات والخطرات، والخاصة لما كانوا أشد طلباً لعيوب النفس والعمل وأكثر تفتيشاً عليها انكشف من ذنوبهم ومعاصيهم ما لم ينكشف للعامة إذ حرص العامة على الاستكثار من الطاعات، ولذلك كثرت في أعينهم، وحرص هؤلاء على تنقية أنفسهم من الآفات، والتفتيش على عيوب الأعمال. (مدارج السالكين، ١/ ٢٩١).

(٢) لأنه لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن من مكر الله طرفة عين فخوفه مستمر إلى أن يستمع قول الرسل لقبض روحه ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت، ٣٠]، فهناك يزول الخوف. (مدارج السالكين، ١/ ٢٠٦).

(٣) قال القشيري في اللطائف: الرخص في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال، وهذه الطائفة لا شغل لهم سوى القيامة بحقه سبحانه، ولهذا قيل: إذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله ونقض عهده فيما بينه وبين الله.
وقال: والعابد إذا جنح إلى ترك الأولى، تعدى ذلك إلى ما كان ينشطه في المجاهدة فيستوطن الكسل ثم يحمله الفراغ، وترك المجاهدة على متابعة الشهوات فيصير كما قيل: =

والتسليم بالكراهية والتبرم عند نزول الأقدار، والمراقبة بسوء الأدب في الظاهر وخواطر السوء في الباطن والمحاسبة بتضييع الأوقات[1] في غير ما يقرب إلى الحق، والمحبة بميل القلب إلى غير المحبوب، والمشاهدة بالتفات السر إلى غير المشهود أو باشتغاله بالوقوف مع شيء من الحس وعدم زيادة الترقي في معاريج الأسرار ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يستغفر في المجلس الواحد سبعين مرة أو مائة[2]، والتوبة النصوح[3] يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان،

= إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة
قال القرقسيني: من أراد أن يتعطل أو يتبطل فليلزم الرخص. ويقول ابن خفيف: ضعفت في القيام في النوافل فجعلت بدل كل ركعة من أورادي ركعتين قاعداً..

(١) إضاعة الوقت الصحيح يدعو إلى درك النقيصة، إذ صاحب حفظه مترقب على درجات الكمال فإذا أضاعه لم يقف موضعه بل ينزل إلى درجات من النقص فإن لم يكن متقدم فهو متأخر لا بد. قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝﴾ [المدثر، ٣٥ - ٣٧].

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: إنا كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة؛ «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم». رواه أبو داود، برقم (١٥١٦)؛ والترمذي، برقم (٣٤٣٤) وقال عنه حسن صحيح.

(٣) اختلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولاً فقيل: هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع، وروي عن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل، ورفعه معاذ إلى النبي ﷺ (أخرجه أبو الشيخ في العظمة مطولاً (٦٤٧)، وفي إسناده نوح بن أبي مريم. قال الحافظ ابن حجر في التقريب =

وعدم الإصرار بالجنان، ومهاجرة سيءِ الخلان.

وقال سفيان الثوري[1]: علامة التوبة النصوح أربعة: القلة، والعلة، والذلة، والغربة[2].

الإنـــابـــة:

وهي أخص من التوبة؛ لأنها رجوع يصحبه إنكسار ونهوض إلى السير.

= كذبوه في الحديث). وقال قتادة: النصوح: الصادقة الناصحة. (تفسير القرطبي، ٢١/٩٦).

(١) هو سفيان بن سعيد الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة (١٩٧ هـ) في الكوفة ونشأ بها، راوده المنصور أن يلي الحكم فأبى وخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً. له من المصنفات: الجامع الكبير، والجامع الصغير، وكان آية في الحفظ، توفي سنة (١٦١ هـ). طبقات ابن سعد، (٦/٢٥٧)؛ حلية الأولياء، (٦/٣٥٦).

(٢) تفسير القرطبي، (٢١/٩٨). وقد عبَّر الحارث بن أسد المحاسبي عن مقام التوبة فقال: فلما تبدلت أحواله واستحلت (النفس) ما كانت تشمئز فيه وأنست بما كانت منه نافرة، وزهدت فيما كانت فيه راغبة، وأنار منه اليقين فشاهدت ما غاب من الآخرة بعقله، قوي تعظيم الله في قلبه، واشتد خوفه منه رجاؤه إياه، فهاج منه الحياء من الله، وأزعجه عن كل قاطع يقطعه من قرب ربه، وسبب يشغله عنه، وبعثه الرجاء، ونشاطه الدؤوب والاجتهاد، وأهاجه الحب على مناجاة سيده، والأنس به والوحشة مما سواه، فأطال مناجاته، وأقبل على الله بعوائده واتصال المزيد في قلبه فأنار فيه ذكره، وعظم فيه حبه مع شدة الشفق أن يحال بينه وبينه فاشتد شوقه إلى مولاه، وطال حزنه وولهه من الدنيا عقله، إجلالاً وإعظاماً لهيبته مع الشفق والوجل أن يقطع عن قرير عينه (كتاب التوبة، ص ٣٦). قال ابن عطاء الله السكندري في حكمه: تحقق بوصفه يمدك بوصفه.

وهي ثلاثة مراتب: رجوع من الذنب إلى التوبة، ومن الغفلة إلى اليقظة، ومن الفرق إلى الجمع على الله.

الخــــوف[1]:

انزعاج القلب من لحوق مكروه أو فوات مرغوب وثمرته النهوض إلى الطاعة والهروب من المعصية[2]، فإظهار الخوف مع التقصير دعوى[3]، فخوف العامة من العقاب وفوات الثواب. وخوف الخاصة من العتاب وفوت الاقتراب[4].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة، ١٥]. وقال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران، ١٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن ... تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء، ٥٩]. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين. متفق عليه، رواه البخاري برقم (١١٥٤)، ومسلم برقم (٩٠١).

(٢) عرفه في منازل السائرين (ص ٢٥٥): هو قبض القلب من هيبة الرب، أو إحجام القلب عن مخالفة الرب، قال الغزالي في الإحياء (٤/ ١٢٠): إن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال. قال أبو حفص: الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه، وقال معاذ بن جبل: إن المؤمن لا يطمئن ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه. (الرسالة القشيرية، ص ١٢٦).

(٣) لأن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي، ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً.
قال الفضيل: إذا قيل لك تخاف الله؟ فاسكت، فإنك إن قلت: لا، كفرت، وإن قلت: نعم كذبت. (إحياء علوم الدين، ٤/ ١٥٥).

(٤) قال في منازل السائرين (ص ٢٥٤): وهو خوف الوقوف والرجوع =

وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب بعروض سوء الأدب[1].

الرجاء[2]:

سكون القلب إلى انتظار محبوب بشرط السعي في أسبابه[3] وإلا فأمنية وغرور[4].

فرجاء العامة حسن المآب بحصول الثواب، ورجاء

= إلى المألوف وهو من علامة الإهمال.

(١) قال الإمام الغزالي: ثم إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن، وعلى الجوارح، وعلى الصفات. وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاء أفعاله، وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال. (إحياء علوم الدين، ٤/ ١٢٠).

(٢) قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت، ٥] وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ [الحجر، ٤٩].
وعن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إلي شبراً، اقتربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إلي ذراعاً، اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». رواه البخاري، برقم (٢٦٧٥)، الترمذي برقم (٢٥٩٨).

(٣) وعرفه في منازل السائرين (ص ٢٥٥): هو تعلق القلب من هيبة الرب، أو إحجام القلب عن مخالفة الرب؛ كما عرفه في إيقاظ الهمم (ص ٥٦): الرجاء تمني الشيء مع السعي في أسبابه، وإلا فهو أمنية؛ قال القشيري: الرجاء هو تعلق القلب بمحبوب سيحصل بالمستقبل؛ قال الإمام الغزالي في الإحياء، ٤/ ١٤٢): الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده.

(٤) قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف، ١٦٩] وذم الله صاحب البستان =

الخاصة حصول الرضوان والاقتراب[1]، ورجاء خاصة الخاصة التمكين من الشهود وزيادة الترقي في أسرار الملك المعبود[2].

والخوف والرجاء للقلب كجناحي الطير لا يطير إلا بهما وربما يرجح الرجاء عند العارفين والخوف عند الصالحين[3].

= ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝﴾ [الكهف، ٣٥، ٣٦]. قال الإمام الغزالي: فكل ذلك يدعي انتظار المغفرة والدرجات العالية مع الإنهماك في الشهوات النفسية حمق وغرور وعجز. وقال: فأما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق. قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط في أمل وأنشد:

ما بال دينك ترضى أن تدنسه
وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس

الإحياء، (٤/ ١٤٤) هـ

(١) هو الطمع في حصول نعيم الأرواح، وهو رضى الحبيب والقرب من القريب، (منازل السائرين، ص ٢٥٥).

(٢) هو الطمع في نعيم الأسرار، بشهود الكريم الغفار على سبيل الدوام والاستغفار، (منازل السائرين، ص ٢٥٥).

(٣) وهما لا يتغيران بخلاف العوام فرجاؤهم ناشئ عن العمل الصالح يزيد بزيادته، وينقص بنقصانه، (منازل السائرين، ص ٢٥٥).

الصبر[1]:

حبس القلب على حكم الرب[2] فصبر العامة حبس القلب على مشاق الطاعات ورفض المخالفات[3]. وصبر الخاصة حبس النفس على الرياضات والمجاهدات وارتكاب الأهوال في سلوك طريق الأحوال مع مراقبة القلب في دوام الحضور وطلب رفع الستور[4]. وصبر خاصة الخاصة حسن الروح والسر في حضرة المشاهدات والمعاينات أو دوام النظرة والعكوف في الحضرة[5].

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥﴾ [البقرة، ١٥٥]. وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد، ٣١]. وقال ﷺ: «الصبر ضياء»، (رواه مسلم، رقم ٢٢٣). وقال ﷺ: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر» متفق عليه، البخاري برقم (١٤٠٠) مسلم برقم (١٠٥٣). والأحاديث في الصبر كثيرة منها قول النبي ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا وهم ولا حزن ولا أذى ولا غمّ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»، متفق عليه.

(٢) قال الغزالي في الإحياء، ٤/٦٣: الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى. قال الإمام القشيري في الرسالة: واعلم أن الصبر على ضربين: صبر العابدين، وصبر المحبين، فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظاً، وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضاً.

(٣) حبس النفس على ما تكره. (منازل السائرين، ص ٢٥٦).

(٤) حبس القلب على الحضور مع الرب في كل نفس. (منازل السائرين، ص ٢٥٦).

(٥) حبس السر على شهود المعاني، وحبس الروح على التأدب مع الحبيب في كل مظهر، (منازل السائرين، ص ٢٥٦).

الشكر[1]:

فرح القلب بحصول النعمة مع صرف الجوارح في طاعة المنعم والاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع[2].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝﴾ [البقرة، ١٥٢]. وقال الله سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾ [النساء، ١٢٧]. وقال ﷺ: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر»، رواه الترمذي برقم (٢٤٨٦) وحسّنه. وعن عائشة أن النبي قام حتى تورمت قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»، متفق عليه، البخاري رقم (١٠٧٨)، ومسلم برقم (٢٨١٩).

(٢) عرفه في منازل السائرين (٢٥٦): هو اعتراف القلب بالنعم، وردها إلى المنعم بها على وجه الخضوع والاستكانة. قال الإمام الغزالي في الإحياء (٤/ ٨١): كل ما قيل في حقيقة الشكر قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه. قال الجنيد: كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ فقلت له: أن لا نعصي الله بنعمه. فقال: يوشك أن يكون حظك من الله تعالى لسانك، قال الجنيد: فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السقطي. (الرسالة، ص ١٧٥). قال الشبلي: الشكر رؤية النعمة لا رؤية المنعم. (الرسالة، ص ١٧٥).

قال ابن عجيبة في البحر المديد (٣/ ٤٥): والشكر ضامن للزيادة، قال بعض العارفين لم يضمن الحق تعالى الزيادة في مقام من المقامات إلا الشكر، فدل على أنه أفضل المقامات، وأحسن الطاعات من حيث أنه متضمن للفرح بالله، وموجب لمحبة الله، ولا شك أن مقام الشكر أعلى من مقام الصبر، لأن الشاكر يرى المنن في طي المحن فيتلقى المهالك بوجه ضاحك، لأنه لا يكون حقيقة حتى يشكر في السراء والضراء، ولا يشكر في الضراء حتى يراها سراء باعتبار ما يواجه به في حال الضراء من الفتوحات القلبية، والمواهب اللدنية فتنقلب النقمة نعمة، بخلاف مقام الصبر.

ومرجعه لثلاث: شكر باللسان: وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة[1]، وشكر بالبدن: وهو اتصافه بالخدمة[2]، وشكر بالقلب وهو شهود المنعم عند حصول النعمة[3]. ومرجع الكل إلى ما قال الجنيد: أن لا يعصي الله بنعمه[4].

فشكر العامة الثناء باللسان، وشكر الخاصة الخدمة بالأركان[5]، وشكر خاصة الخاصة الاستغراق في شهود المنان[6].

الـــــورع[7]:

كـف الـنـفـس عـن ارتـكـاب مـا تـكـره ... =

---

(١) شكر اللسان التحدث بنعم الله قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾ [الضحى، ١١]، وحسن الثناء، وجميل البشر للنعماء وتعديد النعم والآلاء. إتحاف السادة المتقين، (٩/ ٤٥).

(٢) شكر البدن العمل بالطاعة لله تعالى، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ، ١٣] (إيقاظ الهمم، ص ١١٧).

(٣) الاعتراف بأن تكون كل نعمة بك أو بأحد من العباد هي من الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل، ٥٣].

(٤) الرسالة القشيرية، ص ١٧٦.

(٥) شكر الخواص على النعم والنقم (إيقاظ الهمم، ص ١١٧).

(٦) شكر خواص الخواص، الغيبة عن شهود النعم والنقم (إيقاظ الهمم، ص ١١٧).

(٧) قال أبو ذر الغفاري، قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، رواه مسلم برقم (١٥٩٩)، والترمذي برقم (٢٣١٧)، وقال ﷺ لأبي هريرة: «كن ورعاً تكن أعبد الناس»، رواه ابن ماجة برقم (٢٢١٧)، قال في مجمع الزوائد (١٠/ ٥٣٠): إسناده حسن.
قال أبو بكر الصديق ﷺ: كنا ندفع سبعين باباً من الحلال مخافة أن =

عاقبته[1]، فورع العامة: ترك الحرام والمتشابه. وورع الخاصة: ترك كل ما يكدر القلب ويجد منه كزازة وظلمة[2]، ويجمعه قوله عليه الصلاة والسلام: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[3]. وورع خاصة الخاصة: رفض التعلق بغير الله وسد باب الطمع في غير الله وعكوف الهم على الله وعدم الركون إلى شيء سواه[4]، وهذا هو الورع الذي هو ملاك الدين كما قال الحسن البصري[5] حين سئل ما ملاك الدين فقال: الورع. فقيل له وما فساد الدين فقال: الطمع، فالورع الذي يقابل الطمع كل المقابلة هو ورع خاصة الخاصة وجزء منه يعدل

= نقع في الحرام، وقال سفيان الثوري: ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في نفسك تركته. وكان الحارث المحاسبي إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس إصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال. (الرسالة القشيرية، ص١١٠ ـ ١١٢).

(١) قال ابن عجيبة في منازل السائرين (ص٢٢٥): هو ترك ما يكدر القلب ويوجب سخط الرب، أو الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس من كل طرفة، وقال القشيري: الورع ورعان، ورع فرض أو ورع حذر، فالورع الفرض: الورع عن معاصي الله تعالى، والورع الحذر: الورع عن الشبهات. (الرسالة، ص ١١٢).

(٢) وهو ترك ما يغير القلب ويوجب البعد عن المحبوب. (منازل السائرين، ص ٢٥٥).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٨)، والنسائي (٥٣٩٧)، وصححه الترمذي.

(٤) هو ترك الأخذ من المخلوق بالنزوع عن الخطوط إلى الحقوق. (منازل السائرين، ص ٢٥٥).

(٥) هو الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام المشهور من سادات التابعين رأى عثمان وسمع خطبته ورأى علياً. مات سنة ١١٠ هـ (تقريب التهذيب، ١/ ١٦٠).

آلافاً من الصلاة والصيام، ولذا قال في التنوير: وليس يدل على فهم العبد كثرة علمه ولا مداومته على ورده، وإنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه إليه بقلبه والتحرر من رق الطمع والتحلي بحلية الورع يعني: ورع الخاصة أو خاصة الخاصة والله تعالى أعلم.

الـزهـــد[1]:

خلو القلب من التعلق بغير الرب، أو برودة الدنيا من القلب، وعزوف النفس عنها[2].

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝٤٦﴾ [الكهف، ٤٥ ـ ٤٦]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر، ٥]. والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

وعن أبي سعيد الخدري قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» متفق عليه، البخاري برقم (١٣٩٦)، ومسلم، برقم (١٠٥٢).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» رواه مسلم برقم (٢٧٤٢)؛ والترمذي برقم (٢١٩١).

قال سفيان: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء. (الرسالة القشيرية، ص ١١).

(2) قال الغزالي في الإحياء (٤/٢١٦) هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه.

فزهد العامة[1] ترك ما فضل عن الحاجة في كل شيء، وزهد الخاصة: ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله في كل حال[2]، وزهد خاصة الخاصة[3] ترك النظر إلى ما سوى الله في جميع الأوقات[4]، وحاصل الجميع برودة القلب عن السوي وعن الرغبة في غير الحبيب، وهو سبب المحبة كما قال عليه الصلاة والسلام: «**أزهد في الدنيا يحبك الله**» الحديث. وهو سبب السير والوصول إذ لا سير للقلب إذا تعلق بشيء سوى المحبوب.

التـــوكل[5]:

ثقة القلب بالله حتى لا يعتمد على شيء سواه، أو التعلق

---

(١) أي من الذهب والفضة وما ينشأ عنهما.

(٢) أي في كل ما يحبس عن السير من العلائق والعوائق مثل: الجاه ونحوه. (منازل السائرين، ص ٢٥٦).

(٣) قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه، ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله وهو زهد العارفين. (الرسالة القشيرية، ص ١١٩).

(٤) أخرجه ابن ماجة برقم (٤١٠٢)؛ والحاكم في المستدرك (٤/٣٤٨، قال العجلوني في كشف الخفاء (١/١٢٦)، حسّن الحديث النووي ثم العراقي وكلام شيخنا الحافظ ابن حجر ينازع فيه.

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق، ٢]. وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة، ٢٣].

وعن أنس ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ على ناقة له فقال: يا رسول الله هل أدعها وأتوكل؟ فقال: «أعقلها وتوكل». رواه الترمذي برقم (٢٥١٩).

بالله والتعويل عليه في كل شيء علماً بأنه عالم بكل شيء وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك[1].

فأدناه أن تكون مع الله كالموكل مع الوكيل الشفيق الملاطف[2]، ووسطه كالطفل مع أمه لا يرجع في جميع أموره إلا إليها[3]، وأعلاه أن تكون كالميت مع الغاسل[4]. فالأول للعامة، والثاني للخاصة، والثالث لخاصة الخاصة، فالأول قد يخطر بباله تهمة. والثاني لا اتهام له لكن يتعلق بأمه عند

---

(١) قال القشيري: اعلم أن التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى، وإن تعسر شيء فبتقديره، وإن اتفق شيء فبتيسيره. (الرسالة، ص ١٦٣).
قال الإمام الغزالي في الإحياء (٤/٢٥٩): فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده... فإن ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العبد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته ورحمته عناية ورحمة، اتكل قلبك لا محالة عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته، فإنه لا حول ولا قوة إلا به.

(٢) أي المأمون الذي لا يشك في نصيحته له، وقيامه بمصالحه. (البحر المديد ١/٤٢٨).

(٣) فإنه لا يعرف سواها، ولا يفزع إلى أحد سواها، ولا يعتمد إلا عليها فإذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلّها، وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق على لسانه: يا أماه، وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مفزعة، فإنه قد وثق بكفالتها وكفايتها، وشفقتها. (الإحياء ٢٥٩).

(٤) أي لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتاً تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت، وهو الذي قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والإرادة والعلم، وسائر الصفات.

الحاجة. والثالث لا اتهام ولا تعلق له لأنه فانٍ عن نفسه ينظر كل ساعة ما يفعل الله به(١).

الرضى والتسليم:

الرضى(٢) تلقي المهالك بوجه ضاحك، أو سرور يجده القلب عند حلول القضاء(٣)، أو ترك الاختيار على الله فيما دبر

---

(١) **الأول**: يتوكل بالتكلف والتكسب، وليس فانياً عن توكله، **والثاني**: متوكل قد فني عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل. (الإحياء، ٤/ ٢٦١)، وأما **الثالث**: لا يريد شيئاً ولا يدبر شيئاً ولا يعتمد على سبب، ولا يحتاج إلى طلب ومن كان هكذا، قال الله عنه بأموره كلها قلَّ أن يهتم، وفوق التوكل التفويض، (منازل السائرين، ٢٥٦).

(٢) قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة، ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة، ٧٢].
قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي فسلوني فيسألونه الرضا». قال في مجمع الزوائد (٤/ ١٥٣): رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه وأبو يعلى باختصار ورجال أبو يعلى رجال الصحيح.

(٣) **الرضا**: هو الغاية القصوى في الدنيا والآخرة بعد النظر إلى وجه الله تعالى، (إتحاف السادة المتقين، ٩/ ٦٤٦). قال الإمام الغزالي في الإحياء (٤/ ٣٤٣): وحقيقته غامضة على الكثيرين وما يدخل عليه والتشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علّمه الله تعالى التأويل، وفهمه وفقهه في الدين. قال القشيري: اعلم أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذي أمر به، إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به كالمعاصي وفتون محن المسلمين، واعلم أن العبد لا يكاد يرضى عن الحق سبحانه إلا بعد أن يرضى عنه الحق سبحانه، =

والمضي أو شرح الصدر ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهار[1].

والتسليم[2]: ترك التدبير والاختيار بالسكون تحت مجاري الأقدار فيرادف الرضى على الحد الأخير، والرضى أعظم منه على الأولين.

وقيل: الرضى يكون عند النزول، والتسليم قبل النزول وهو التفويض بعينه فبدايتهما بالصبر والمجاهدة، ووسطهما بالسكون مع خواطر التبرم والكراهية ونهايتهما بفرح وسكون مع عدم التبرم. فالأول للعامة، والثاني للخاصة، والثالث لخاصة

= (الرسالة، ص ١٩٤). قيل للحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إليَّ من الغنى، والسقم أحب إليَّ من الصحة، فقال: رحم الله تعالى أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمن غير ما اختاره الله عز وجل له. (الرسالة، ص ١٩٥).

(١) قال الشيخ ابن عجيبة في منازل السائرين (ص ٢٥٦): وهو على ثلاثة أقسام: رضى العوام بالمجاهدة بعد حصول المنازعة، ورضى الخواص بالمجاهدة بعد الصدمة الأولى، ورضى حواص الخواص بالمجاهدة للحبيب بعد نزول القدر فهم راضون عن الله في كل حال، وفي كل زمان.

(٢) قال في منازل السائرين (ص ٢٥٧): هو ترك المنازعة فيما دبَّر وأبرم. وقال في إيقاظ الهمم (ص ٧٢) وحقيقة التسليم استواء النقمة والنعيم بحيث لا يختار في أيهما يقيم، وهذا هو مقام أهل الكمال الذين تحققوا بالزوال. وقال الشيخ محمد سعيد الفهري الطرابلسي: دع الدار لبانيها إن شاء أقامها وإن شاء هدمها. قال الخضري:

سلِّم لسلمى وسر حيث سارت
واتبع رياح القضاء ودر حيث دارت

الخاصة[1]، ويغتفر الخاطر الأول عند الجميع لضعف البشرية إذ لا يخلو منه بشر.

المراقبة[2]:

إدامة علم العبد باطلاع الرب أو القيام بحقوق الله سراً وجهراً خالصاً من الأوهام صادقاً في الاحترام[3]، وهي أصل كل خير وبقدرها تكون المشاهدة فمن عظمت مراقبته عظمت بعد ذلك مشاهدته.

فمراقبة أهل الظاهر حفظ الجوارح من الهفوات. ومراقبة أهل الباطن حفظ القلوب من الاسترسال مع الخواطر والغفلات. ومراقبة أهل باطن الباطن حفظ السر من المساكنة إلى غير ذلك[4].

---

(١) وقال في منازل السائرين (ص ٢٥٧): هو على ثلاثة أقسام تسليم العوام بالعلم دون العمل، وتسليم الخواص بالعمل دون الذوق، وتسليم خواص الخواص بالذوق والحال. فهم في عموم أوقاتهم لا يدبرون ولا يختارون، قد هجم عليهم اليقين وسكنوا إلى حكم رب العالمين، إذ ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۝٥٢﴾ [الأحزاب، ٥٢].
وقال ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» متفق عليه، إشارة إلى حال المراقبة وهذا أمل كل خير، ولا يكاد يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه عن المحاسبة، (الرسالة القشيرية، ص ١٨٩).

(٣) قال في منازل السائرين (ص ٢٥٧): شهود قرب الحبيب والتأدب بين يدي القريب. قال في الإحياء (٤/٣٩٨): المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه..

(٤) قال بعضهم: من راقب الله تعالى في خواطره، عصمه الله تعالى =

المحاسبة[1]:

عتاب النفس على تضييع الأنفاس والأوقات في غير أنواع الطاعات. وتكون آخر النهار كما أن المشارطة تكون أول النهار، يقول لنفسه في أول نهاره هذا يوم جديد وهو عليك شهيد، فاجتهدي في تعمير أوقاته بما يقربك إلى الله ولو مت بالأمس لفاتك الخير الذي تفوزين به فيه، وكذلك يقول لها عند إقبال الليل ويحاسبها عند إدباره هكذا يدوم عليها معها حتى تتمكن من الحضرة فحينئذ يتحد الوقت، وهو الاستغراق في الشهود فلا يبقى من يحاسب ولا من يعاقب.

فتحصّل أن المشارطة أولاً، والمحاسبة آخراً، والمراقبة دائماً ما دام في السير فإذا حصل الوصول فلا محاسبة ولا مشارطة[2].

= في جوارحه. وقال إبراهيم الخواص: المراعاة تورث المراقبة، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية، (الرسالة، ص ١٩١). وقال في منازل السائرين (ص ٢٤٧): فمحل المراقبة من الإحسان كمحل الإخلاص من الإيمان.

(١) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر، ١٨]. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف، ٢٧].
قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا قبل أن توزنوا.
قال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه ألست صاحبة كذا، ألست صاحبة كذا، ثم ذمها، ثم أخطمها، ثم ألزمها قائداً كتاب الله تعالى فكان قائداً له. (الإحياء، ٤/ ٤٠٥).

(٢) انظر إتحاف السادة المتقين، ١١٦/١٠.

المحبة[1]:

ميل دائم بقلب هائم[2]، ويظهر هذا الميل أولاً على الجوارح الظاهرة بالخدمة، وهو مقام الأبرار، وثانياً على القلوب الشائقة بالتصفية والتحلية وهو مقام المريدين السالكين. وثالثاً على الأرواح والأسرار الصافية بالتمكين من شهود المحبوب، وهو مقام العارفين[3].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة، ٥٤]. عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله لقاءه» متفق عليه، رواه البخاري برقم (٦١٤٢)، ومسلم (٢٦٨٣). وعن أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قيل له: إن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال ﷺ: «المرء مع من أحب». متفق عليه، البخاري رقم (٥٨١٨)، ومسلم برقم (٢٦٤٠).

(٢) قال في منازل السائرين (ص ٢٥٨): هو أخذ قلب العبد إلى التعلق بالرب. قال الإمام القشيري في الرسالة (ص ٣١٨): المحبة حالة شريفة، شهد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، فالحق سبحانه يوصف بأنه يحب العبد والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه، والمحبة على لسان العلماء هي الإرادة وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة، فإن الإرادة لا تتعلق بالقديم اللهم إلا أن يحمل على إرادة التقرب إليه والتعظيم له.

قال سهل بن عبد الله: الحب معانقة الطاعة، ومباينة المخالفة. قال الجنيد: المحبة إفراط الميل بلا نيل. قال المحاسبي: المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبه. قال عبد الله بن المبارك، من أعطي شيء من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع.

(٣) قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: المحبة أخذت من الله لقلب المؤمن =

فبداية المحبة ظهور أثرها بالخدمة، ووسطها ظهور أثرها بالسكر والهيام، ونهايتها ظهوره بالسكون والصحو في مقام العرفان فلهذا انقسم الناس على ثلاث مراتب: أرباب الخدمة، وأرباب الأحوال، وأرباب المقامات، فبدايتها سلوك وخدمة، ووسطها جذب وفناء، ونهايتها صحو وبقاء.

المشاهدة(1) والمعاينة(2):

المشاهدة رؤية الذات اللطيفة في مظاهر تجلياتها الكثيفة فترجع إلى تكثيف اللطيف، فإذا ترقق الوداد ورجعت الأنوار الكثيفة لطيفة فهي المعاينة فترجع إلى تلطيف الكثيف. فالمعاينة أرق من المشاهدة وأتم.

والحاصل أن شهود الذات لا يمكن إلا بواسطة تكثيف أسرارها اللطيفة في مظاهر التجليات إذ لا يمكن إدراك اللطيف

= من كل شيء سواه، فترى النفس مائلة لطاعته، والعقل متحصناً بمعروفه، والروح مأخوذة في حضرته والسر مغموراً في مشاهدته، والعبد يستزيد من حبه فيزداد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكن حلل التقريب على بساط القربة. (منازل السائرين، ص ٢٥٨).

(١) قال ابن الجوزي في صيد الخاطر (ص ٢٧٩): وأما متعلق القلوب من محبة الخالق البارئ، فهو مانع لها من الوقوف مع سواه، وإذا كانت محبة لا تجانس محبة المخلوقين، غير أن أرباب المعرفة، ولهى قد شغلهم حبه عن حب غيره، وصارت الطباع مستغرقة لقوة معرفة القلوب ومحبتها كما قال رابعة:

أحب حبيباً لا أعاب بحبه وأحببتهم في هواه عيوب

(٢) قال ابن عربي في الفتوحات (٢/ ٤٩٥): المشاهدة عند الطائفة رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ورؤيته في الأشياء وحقيقتها اليقين من غير شك.

ما دام لطيفاً فرؤية التجليات كثيفة مشاهدة وردها إلى أصلها بانطباق بحر الأحدية عليها معاينة وقيل: هما سواء.

المعرفة[1]:

وهي التمكن من المشاهدة واتصالها، فهي شهود دائم بقلب هائم، فلا يشهد إلا مولاه ولا يعرج على أحد سواه، مع إقامة العدل وحفظ مراسم الشريعة فهذه حدود المقامات قد انتهت في المعرفة[2]. ثم نرجع إلى حقائق أخرى يكثر استعمالها بداية ونهاية منها:

التقوى[3]:

وهي امتثال الأوامر واجتناب المناكر في الظواهر والسرائر

---

(١) عرفها في منازل السائرين (ص ٢٤٨): تمكين المشاهدة من القلب والخروج من سكر الحيرة إلى صفاء المعرفة، والخروج من عين اليقين إلى حق اليقين. قال الإمام القشيري في الرسالة: المعرفة على لسان العلماء هي العلم، فكل علم معرفة وكل معرفة علم، وكل عالم بالله تعالى عارف، وكل عارف عالم، وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه، بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله تعالى في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه، دام بالقلب اعتكافه فحظي من الله بجميل إقباله، وصدّق الله تعالى في جميع أحواله.
قال سهل بن عبد الله: المعرفة غايتها شيئان: الدهشة والحيرة.

(٢) قال ابن الجوزي في صيد الخاطر (ص ٢٦٤): وأما أن يكون له ذوق في المعرفة فإنه مشغول عن الكل بصاحب الكل، فتراه متأدباً في الخلوة به، مستأنساً بمناجاته مستوحشاً في مخالطة خلقه راضياً بما يقدر له معيشته معه كعيش محب قد خلا بحبيبه لا يريد سواه، ولا يهتم بغيره.

(٣) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران، ١٢] =

ومواصلة الطاعات والأعراض عن المخالفات[1].

فتقوى العامة اجتناب الذنوب، وتقوى الخاصة التخلي من العيوب، وتقوى خاصة الخاصة الغيبة عن السوي بالعكوف في حضرة عالم الغيوب.

الاستقامة[2]:

استعمال العلم بأقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وأفعاله وأحواله وأخلاقه من غير تعمق ولا تأنق ولا ميل مع أوهام

= ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات، ١٣]؛ وقال سبحانه: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال، ٢٩]، والآيات في الباب كثيرة معلومة.
وعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم» متفق عليه، البخاري رقم (٣١٧٥)، ومسلم (٢٣٧٨). وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال: سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وسادة الناس في الآخرة الأتقياء.

(١) قال في البحر المديد (٥/٤٣٧): إن نصيب كل عبد من الله تعالى على قدر تقواه وتقواه على قدر توجهه إلى الله... وسقوط العبد من عين الله على قدر تقواه وقلة تقواه على قدر ضعف توجهه.
قال الإمام القشيري (الرسالة، ١٠٨): التقوى جماع الخيرات وحقيقة الاتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته. وأصل التقوى اتقاء الشرك، ثم بعد ذلك اتقاء المعاصي والسيئات، ثم بعد ذلك اتقاء الشبهات ثم بعد ذلك ترك الفضلات.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت، ١٣]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف، ١٣]. =

الوسواس، أو الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات، أو القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق في جميع الحالات[1].

وهي في الأقوال بترك الغيبة وفي الأفعال بترك البدعة، وفي الأحوال بعدم الخروج عن سنن الشريعة.

فاستقامة العامة بموافقة السنَّة، واستقامة الخاصة بالتخلق بالأخلاق النبوية، واستقامة خاصة الخاصة بالتخلق بأخلاق الرحمٰن مع الاستغراق في حضرة العيان[2].

الإخلاص[3]:

إخراج الخلق عن معاملة الحق وإفراد حقب وأفراد الحق

= عن سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله قل في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم». رواه مسلم برقم (٦٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣).

(١) الاستقامة: درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل، ٩٢] ومن لم يكن مستقيماً في صفته لم يرتق في مقامه إلى غيره، ولم يبن سلوكه على صحة. فمن شروط المستأنف الاستقامة في أحكام البداية كما أن في العارف الاستقامة في آداب النهاية، (الرسالة ص ١١٣).

(٢) والاستقامة أدق وأصعب من التقوى في النهاية والعبودية مع الاستقامة، خير من ألف كشف وكرامة.

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة، ٥]. =

تعالى في الطاعة بالقصد، أو غيبة القلب عن غير الرب[1].

فإخلاص العامة تصفية الأعمال عن ملاحظة المخلوقين، وإخلاص الخاصة تصفيتها عن طلب العوض في الدارين، وإخلاص خاصة الخاصة التبرىء من الحول والقوة ومن رؤية الغير في القصد والحركة حتى يكون العمل بالله وإلى الله غائباً عن ما سواه[2].

= قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، متفق عليه. البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

(١) قال الإمام الغزالي: إن العمل إذا تمحض لغير الله فهو سبب المقت والعقاب، وإذا تمحض لله خالصاً فهو سبب القرب والثواب، وإذا امتزج بشوب من الرياء أو حظوظ النفس فينظر إلى الغالب وقوة الباعث فإن كان باعث الحظ أغلب سقط وكان إلى العقوبة أقرب لكن عقوبته أخف ممن تجرد لغير الله، وإن كان باعث التقرب أغلب حظ منه بقدر ما فيه من باعث الحظ. وإن تساويا وما تساقطا صار العمل لا له ولا عليه اهـ. قال ابن عجيبة: وتطّرد هذه القاعدة في المعاملات كلها وجميع الحركات والسكنات، والحرف وسائر الأسباب فالخلص من الحظوظ مقبول، والمتمحض للحظوظ مردود، والمشوب ينظر للغالب. (البحر المديد، ١/ ٢٢٩).

(٢) قال سهل بن عبد الله: لا يعرف الرياء إلا مخلص.
قال الجنيد: الإخلاص سر بين الله والعبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده، ولا هو فيميله. قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. (الرسالة، ص ٢٠٩). قال ابن الجوزي: ينبغي أن يكون العمل كله لله ومعه ومن أجله، وقد كفاك كل مخلوق وجلب لك كل خير، =

الصـــدق[1]:

إسقاط حظوظ النفس في الوجهة إلى الله تعالى تعويلاً على ثلج اليقين، أو استواء الظاهر والباطن في الأقوال والأفعال والأحوال، أو ملازمة الكتمان عن أسرار الرحمٰن.[2]

وحاصله تصفية الباطن من الالتفاف إلى الغير بالكلية والفرق بينه وبين الإخلاص أن الإخلاص ينفي الشرك الجلي والخفي، والصدق ينفي النفاق والمداهنة بالكلية.

فمثال الصدق مع الإخلاص كالتشحرة[3] للذهب فهو ينفي

= وإياك أن تميل عنه بموافقة وإرضاء مخلوق، فإنه يعكس عليك الحال ويفوتك المقصود. (صيد الخاطر، ٣٦٨ ـ ٣٦٩).

(١) قال الله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة، ١١٩].
وقال ﷺ: «لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله تعالى صديقاً، ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». رواه أبو داود رقم (٤٩٨٩) والترمذي رقم (١٩٧٢).

(٢) قال القشيري (الرسالة، ص ٢١٠) والصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، وهو تالي درجة النبوة، قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء، ٦٩]. والصادق هو الاسم اللازم من الصدق، والصدِّيق المبالغة منه، وهو الكثير الصدق... وأقل الصدق استواء السر والعلانية. قال الجنيد: الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة، والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة. قال في منازل السائرين (ص ٢٤٦): وليس المراد ها هنا صدق اللسان إنما المراد صدق الجنان بتصفية مشرب التوحيد في معاملة الواحد الحق، وذلك بترك الحظوظ واللحوظ.

(٣) أي التصفية والتخليص مما يخالطه من أنواع المعادن، وهي كلمة مغربية عامية.

عنه عوارض النفاق ويصفيه من كدورة الأوهام.

وذلك أن صاحب الإخلاص لا يخلو من مداهنة النفس ومسامحة الهوى بخلاف صاحب الصدق فإنه يذهب المداهنات ويرفع المسامحات إذ لا يشم رائحة الصدق من داهن نفسه أو غيره فيما دق أو جل.

وعلامة الصدق استواء السر والعلانية، فلا يبالي صاحب الصدق بكشف ما يكره اطلاع الناس عليه ولا يستحي من ظهوره لغيره واكتفاءً بعلم الله.

فصدق العامة تصفية الأعمال من طلب الأعواض، وصدق الخاصة تصفية الأحوال من قصد غير الله، وصدق خاصة الخاصة تصفية مشرب التوحيد من الالتفات إلى ما سوى الله.

ويقال لصاحب المقام الأول، صادق، والثاني والثالث، صديق[1].

وأما التصديق بوجود الحق أو بوجود الخصوصية عند الأولياء وتعظيمهم لأجلها فهو تصديق لا صدق، خلاف ما يعتقده بعض فقراء زماننا هذا، ويقال لمن عظم تصديقه أيضاً، فالصديق يطلق على من عظم صدقه وتصديقه.

---

(١) قال في منازل السائرين، (ص ٢٤٦): أما صدق أهل البادية فهو رفض الحظوظ العاجلة والآجلة في معاملة الخلق، وهذا هو صدق في العبودية، وأما صدق أهل الوسط، وهم السائرون، فهو ترك اللحوظ والالتفات إلى غير المحبوب، أما صدق أهل النهاية، فهو رفض رؤية السّوى بتحقيق توحيد المولى، فالظاهر عبودية، والباطن حرية.

الطمـــأنيـنة[1]:

وهي سكون القلب إلى الله عارياً عن التقلب والاضطراب ثقة بضمانه أو اكتفاءً بعلمه أو رسوخاً في معرفته[2].

وتكون من وراء الحجاب بتواتر الأدلة واستعمال الفكرة أو بتوالي الطاعة ومجاهدة الرياضة، وتكون بعد زوال الحجاب بتمكين النظرة ورسوخ المعرفة.

فقوم اطمأنوا بوجود الله من طريق البرهان أو البيان، وقوم اطمأنوا بشهود الله بعد ظهوره من طريق العيان.

فالأول للعلماء، والثاني للعباد والزهاد والصالحين، والثالث للعارفين المتقربين[3].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد، ٢٨].

(٢) قال في البحر المديد: (٣/ ٢٥): الطمأنينة على قسمين: طمأنينة إيمان وطمأنينة شهود عيان، قوم اطمأنوا إلى غائب موجود وقوم إلى آخر مشهود، قوم اطمأنوا بوجود الله من طريق الإيمان على نعت الدليل والبرهان، وقوم اطمأنوا بشهود الله من طريق العيان على نعت الذوق والوجدان، وهذه ثمرة الإكثار من ذكر الله. ثم قال: واعلم أن طمأنينة الإيمان تزيد وتنقص، وطمأنينة العيان إن حصلت تزيد ولا تنقص.

(٣) قال في منازل السائرين (ص ٢٤٧): هو سكون القلب عند التقلب والاضطراب إلى ثلج النفس وشهود مسبب الأسباب وهو على ثلاثة طبقات: طبقة ذكر، وهو طمأنينة القلب بذكر الله. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد، ٢٨] وطمأنينة قرب، وهو تحقيق المراقبة من القلب بالأنس من الحبيب، ومناجاة القريب، وهو ناشئ من شهود توحيد الصفات، وطمأنينة شهود، وهو لأهل التمكين والرسوخ في اليقين، وهو ناشيء عن تحقيق توحيد الذات.

الشوق والاشتياق[1]:

الشوق إنزاع القلب إلى لقاء الحبيب، والاشتياق ارتياح القلب إلى دوام الاتصال به، فالشوق يزول برؤية الحبيب ولقائه، والاشتياق لا يزول أبداً لطلب الروح الزيادة في كشف الأسرار والقرب إلى الأبد[2].

فشوق العامة إلى زخارف جنانه، وشوق الخاصة إلى نيل رضوانه، وشوق خاصة الخاصة إلى حضرة عيانه[3].

الغـــيرة[4]:

كراهية رؤية حبيبك عند غيرك فيهيج التنافس في

---

(١) قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ [العنكبوت، ٥].

(٢) قال القشيري: الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشوق. قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يفرق بين الشوق والاشتياق، فيقول: الشوق يُسكن باللقاء والرؤية، والاشتياق لا يزول باللقاء. وفي معناه أنشدوا:

ما يرجع الطرف عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقاً

(الرسالة، ٣٣٢).

(٣) يقول السري السقطي: الشوق أجل مقام للعارف إذا تحقق فيه، وإذا تحقق في الشوق فإنه يلهو عن كل شيء يشغله عمن يشتاق إليه، (الرسالة ص، ٣٣٢).

(٤) قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف، ٣٣]. وقال رسول الله ﷺ: «ما أحد أغير من الله تعالى، ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن». متفق عليه. رواه البخاري برقم (٤٣٥٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٠) قال رسول الله ﷺ: «إن الله يغار، =

حيازته[1].

قال الشبلي[2]: الغيرة غيرتان، فغيرة البشرية على النفوس وغيرة الإلهية على القلوب[3]. ومعناه أن الطبع البشري يكره أن يرى محبوبه عند غيره كالزوجة مثلاً، والحق تعالى يكره أن يرى قلوب أوليائه متعلقة بغيره، وفي الحديث «. . . لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن[4]. وما في الوجود إلا الغيرة الإلٰهية سرت في مظاهر تجلياته.

فغيرة النفوس للعامة، وهي غيرتهم على هتك حرمة

= وإن المؤمن يغار، وغيرة الله تعالى أن يأتي العبد المؤمن ما حرّم الله تعالى عليه». متفق عليه. رواه البخاري برقم (٤٩٢٥)، ومسلم برقم (٢٧٦١).

(١) قال القشيري في الرسالة (ص ٢٥٥): الغيرة كراهية مشاركة الآخرين وإذا وصف الحق سبحانه بالغيرة، فمعناه أنه لا يرضى بمشاركة غيره معه، فيما هو حق له من طاعة عبده. قيل: مرضت رابعة العدوية فقيل لها: ما سبب علتك؟ فقالت: نظرت بقلبي إلى الجنة، فأدبني ربي فله العتبى لا أعود. قال النصرآباذي: الحق تعالى غيور، ومن غيرته أنه لم يجعل إليه طريقاً سواه. قال القشيري: ومنهم من غيرته حين يرى الناس يذكرونه تعالى بالغفلة فلا يمكنه رؤية ذلك ويشق عليه.

(٢) **الشبلي**: هو أبو بكر دلف بن جحدر، خرساني الأصل، بغدادي المولد والمنشأ، تاب في مجلس خير النساج وصحب أبا القاسم الجنيد، صار أوحد الوقت علماً، وحالاً وظرفاً، وكان فقيهاً مالكي المذهب، كتب الحديث. توفي سنة ٣٣٤ هـ. (صفة الصفوة، ٢/٢٥٨؛ مناقب الأبرار، ٢/٢٨).

(٣) الرسالة القشيرية، (ص ٢٥٧).

(٤) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري، برقم (٤٣٥٨)؛ ومسلم، برقم (٢٧٦٠).

حريمهم، وغيرة القلوب للخاصة وهي غيرتهم على قلوبهم أن تميل لغير محبوبهم، وغيرة الأرواح والأسرار لخاصة الخاصة، وهي غيرتهم على أرواحهم أن تلتفت إلى شيء دون محبوبهم، وغيرتهم على حبيبهم أن يميل إلى غيرهم، وعلى هذا الأمر العظيم حق للعبد أن يغار كما قال الشاعر:

إذا لم أنافس في هواك ولم أغر
عليك ففيمن ليت شعري أنافس
فلا تمقتن نفسي فأنت حبيبها
فكل امرء يصبو إلى من يجانس

وقد يغار الحق تعالى على أوليائه فينتقم من أعدائهم إذا آذوهم، ومن غيرته أيضاً عليهم أن لا يظهرهم لجملة الخلق، فيضن بهم على خلقه حتى يلقوه تحت أستار الخمول وهم عرائس[1] حضرته.

الفتوة[2]:

وهي الإيثار على النفس بما تحب والإحسان إلى الخلق

---

(١) مفردها عرس، والعروس، الرجل والمرأة ما داما في إعراسهما، وهم عُرُس، وهن عرائس. (القاموس المحيط، ٧١٨/١). وفي اصطلاح القوم، فقال ابن عربي: وأما حال الغيرة من الحق، وهي ضنته بأوليائه، حيث سترهم عن سائر عباده فحبب إليهم الستر، ووفقهم للمعرفة بحكم المواطن فاتصفوا بصفة سيدهم فكانوا عنده خلف حجب العوائد فهم صنائع الله وعرائسه، (الفتوحات المكية، ٢٠٦/١٠).

(٢) قال سهل بن عبد الله التستري (حلية الأولياء، ٢٠٦/١٠): الدنيا ثلاثة: عبيد، ورجال، وفتيان، قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان، =

بما يجب[1]، ولذا قيل: لم تكمل الفتوة إلا لرسول الله ﷺ حيث يقول في موضع لا يذكر فيه أحد إلا نفسه: «أمتي أمتي»[2].

وقيل: أن لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك. والفتى من لا خصم له، ومرجعها إلى السخاء والتواضع والشجاعة في مواطن الاضطراب.

ففتوة العامة بالأحوال، وفتوة الخاصة بالنفوس، وفتوة خاصة الخاصة بالأرواح وبذل المهج في جانب المحبوب[3].

= ٦٣]. ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ [النور، ٣٧]. ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف، ١٣]. ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء، ٦٠].

(١) والفتى من الفتاء، أي الشباب، وينصرف المعنى إلى الكرم، والفتوة هي الغلبة (القاموس المحيط، ٤/ ٣٧٣).
قال الهروي (منازل السائرين، ١/ ٦١): نكتة الفتوة أن لا تشهد له فضلاً، ولا ترى ترى لك حقاً.
قال القشيري (الرسالة، ٢٢٧): أهل الفتوة أن يكون دائماً في أمر غيره.
قال الفضيل: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان، وسئل الإمام أحمد بن حنبل ما الفتوة؟ فقال: ترك ما تهوى لما تخشى.
قال الجنيد: الفتوة كف الأذى وبذل الندى.
وسأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة فقال: ما تقول أنت؟ فقال شقيق: إن أعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا، فقال جعفر بن محمد: لكلاب عندي بالمدينة تفعل كذاك، فقال شقيق: يا ابن بنت رسول الله ما الفتوة عندكم؟ فقال: إن أعطينا آثرنا، وإن منعنا شكرنا؟.

(٢) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري، برقم (٧٠٧٢)، ومسلم، برقم (١٩٣).

(٣) قال الهروي (منازل السائرين، ١/ ٦١): وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: ترك الخصومة، والتغافل عن الزلة ونسيان الأذية. =

الإرادة[1]:

وهي قصد الوصول إلى المحبوب بنعت المجاهدة، أو التحبب إلى الله بما يرضى، والخلوص في نصيحة الأمة والأنس بالخلوة والصبر على مقاساة الأهوال ومنازلات الأحوال، والإيثار لأمره والحياء من نظره وبذل المجهود في محبوبه، والتعرض لكل سبب يوصل إليه وصحبة من يدل عليه، والقناعة بالخمول وعدم سكون القلب إلى شيء دون الوصول، وهي أول منزلة القاصدين وبدء طريق السالكين[2].

= والدرجة الثانية: أن تقرب من يقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتعتذر إلى أن من يجني عليك سراحاً لا كظماً، وبراحاً لا مصابرة، **والدرجة الثالثة**: أن لا تتعلق في المسير بدليل ولا تشوب إجابتك بعوض ولا تقف في شهودك على رسم.

واعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعة ولم يخجل من المعذرة إليه لم يشم رائحة الفتوة، ثم في علم الخصوص من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم يخل له دعوى الفتوة أبداً.

(١) قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام، ١٥٢].

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله»، فقيل له: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت». أخرجه الترمذي، رقم (٢١٤٣).

(٢) قال القشيري في الرسالة (ص ٢٠١): الإرادة بدء طريق السالكين، وهي اسم لأول منزلة القاصدين إلى الله تعالى وإنما سميت هذه الصفة إرادة، لأن الإرادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله.

وقال: هي نهوض القلب في طلب الحق سبحانه وتعالى، ولهذا يقال: إنها لوعة تهون كل روعة.

قال محمد الواسطي: أول مقام المريد إرادة الحق بإسقاط إرادته.

والمريد[1]:

من لا إرادة له دون مولاه.

وهي ثلاث مراتب: إرادة التبرك والحرمة، وهي لمن ضعفت همته أو كثرت علائقه، وإرادة الوصول إلى الحضرة وهي لأهل التجريد وقوة العزم، وإرادة الخلافة وكمال المعرفة، وهي لمن ظهرت نجابته وكملت أهليته وصرح له بالخلافة من شيخ كامل أو هاتف صادق.

المجاهدة[2]:

وهي فطم النفس عن المألوفات وحملها على مخالفة هواها في عموم الأوقات وخرق عوائدها في جميع الحالات[3].

---

(١) قال القشيري في الرسالة (ص ٣٦١): من صفات المريد التحبب إليه بالنوافل، والخلوص من نصيحة الأمة، والأنس بالخلوة، والصبر على مقاساة الأحكام، والإيثار لأمره، والحياء من نظره، وبذل المجهود في محبوبه، والتعرض لكل سبب يوصل إليه، والقناعة بالخمول، وعدم القرار بالقلب إلى أن يصل إلى الرب.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت، ٦٩].

(٣) هي حمل النفس على خلاف دواعيها، وذبحها بسيوف المخالفة، وعدم الركون إليها في نفس من الأنفاس. فإن النفس ما دامت حيّة تسعى فهي حيّة (إحياء القلوب، ص ٣١).

قال ابن عطاء الله: النفس مجبولة له على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها في إفسادها.

قال أبو عثمان المغربي: من ظن أن يفتح عليه بشيء من هذه الطريقة =

قال بعضهم: مرجعها إلى ثلاث لا تأكل إلا عند الفاقة ولا تنام إلا عند الغلبة ولا تتكلم إلا عند الضرورة. ونهايتها المشاهدة، فلا مجاهدة بعدها فلا تجتمع مجاهدة ومشاهدة إذ نهاية التعب تمام السفر، فإذا حصل الوصول فما بقي إلا الراحة ومشاهدة الحبيب مع حفظ الأدب.

وهي ثلاث[1]: مجاهدة الظاهر بدوام الحضور في الحضرة القدسية، ومجاهدة السرائر باستدامة الشهود، وعدم الالتفات إلى غير المعبود.

الولاية[2]:

وهي حصول الأنس بعد المكابدة واعتناق الروح بعد

= أو يكشف له عن شيء منها إلا بلزوم المجاهدة فهو مخطئ. (الرسالة، ص ٩٨).

(١) قال في البحر المديد (٤/ ٣٢٠): المجاهدة على قدرها تكون المشاهدة فمن لا مجاهدة له لا مشاهدة له. وبالمجاهدة تميزت الخصوص من العموم وبها تحقق سير السائرين، فالعموم وقفوا على موافقة حظوظهم من الجاه والغنى وغيره، والخصوص خالفوا نفوسهم رفضوا حظوظهم وخرقوا عوائدهم فخرقت لهم العوائد، وانكشفت عنهم الحجب وشاهدوا المحبوب. فجاهدوا أولاً في ترك الدنيا، وتحملوا مرارة الفقر، حتى تحققوا بمقام التوكل، ثم جاهدوا في ترك الجاه والرئاسة فتحققوا بالخمول، وهو أساس الإخلاص ثم جاهدوا في مخالفة النفس عليها وأخرجوها من كل ما تهواه، ويخف عليها وارتكبوا في ذلك أهوالاً وأحوالاً، وصعاباً حتى ماتت نفوسهم موتاً.

(٢) قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس، ٦٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: =

المجاهدة، وحاصلها تحقيق الفناء في الذات بعد ذهاب حس الكائنات فيفني من لم يكن، ويبقي من لم يزل[1]. فأولها التمكن من الفناء، ونهايتها التحقق بالبقاء، وبقاء البقاء، ويبقي الترقي والاتساع فيها أبداً سرمداً إلى ما لا نهاية له.

قال إبراهيم بن أدهم[2] لرجل: أتحب أن تكون لله ولياً، قال: نعم، قال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة وفرغ

= من عادى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» أخرجه البخاري برقم (٦١٣٧)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٥٨).

(١) **الولاية**: وهي في اصطلاح الصوفية: صغرى وكبرى، فالصغرى أن يتولى العبد نفسه بالصلاح، ويتوجه فيه بالخير إلى ربه، ويسأله الهداية، وأن يتولاه، والكبرى هي التي يتولى الله فيها عبده فلا يكله إلى نفسه ولا إلى الناس (معجم المصطلحات الفلسفية، ص ٩٤٧).
قال القشيري: فإن قيل ما معنى الولي؟ قيل يحتمل أمرين: **أحدهما**: أن يكون معيلاً مبالغة من الفاعل، كالعليم، والقدير وغيره. فيكون معناه: من توالت طاعاته من غير تخلل معصية، ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وجرح بمعنى مجروح، وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف، ١٩٦].

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم ابن منصور، من كورة بلخ، كان من أبناء الملوك خرج يوماً متصيداً، وأثار ثعلباً، وهو في طلبه فهتف =

نفسك لله ﷻ، وأقبل بوجهك عليه يرفق عليك ويواليك.

وقال غيره: الولي من كان همه الله وشغله الله وفنائه دائماً في الله.

وتطلق على ثلاث مراتب: ولاية عامة وهي لأهل الإيمان والتقوى كما في الآية وهي قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس ٦٢، ٦٣] وولاية خاصة وهي لأهل الاستشراف على العلم بالله. وولاية خاصة الخاصة وهي لأهل التمكن في معرفة الله على نعت العيان.

قيل: من أولياء الله يا رسول الله؟ قال: «**المتحابون في الله**»[1]. وفي رواية: «الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر

= به هاتف: ألهذا خلقت، أم بهذا أمرت، ثم هتف به، والله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت فنزل عن دابته، وصادف راعياً لإبله فأخذ جبته وكانت من صوف فلبسها وأعطاه ثيابه وفرشه، ثم دخل مكة صحب بها سفيان الثوري والفضل بن عياض، ثم ارتحل وأقام بالشام وكان يأكل من عمل يده وكان كبير الشأن في باب الورع. (الكواكب الدرية، ٢/ ٣٢). (حلية الأولياء، ٣/ ٣٦٧).

(١) الحديث مروي عن أبي إدريس الخولاني، قال: قلت لمعاذ: إني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون، ويخاف الناس وهم لا يخافون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليه ولا هم يحزنون»، فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال: «هم المتحابون في الله تعالى»، رواه أحمد (٥/ ٢٣٦)؛ والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦٦) وصححه.

الناس إلى ظاهرها»[1] الحديث. فشمل الحديث ولاية الخاصة وخاصة الخاصة والله تعالى أعلم.

الحرية[2]:

وهي تصفية الباطن من حب غير الحق حتى لا يبقى فيه بقية لغير الله[3]، وهذه الحرية الكثيبة وهي سبب الظفر بالحرية الوهبية، وهي غيبية العبد في مظاهر الرب فتنتفي ظلمة الحدوث في نور القدم، وتختفي قوالب العبودية في تجلي مظاهر الربوبية، فيبقى الحق بلا خلق، فحينئذ يكتب للعبد عقد الحرية فتكون عبادته وعبوديته شكراً لا قهراً[4]، كما قال سيد العارفين ﷺ: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[5].

وقال إمام هذه الطائفة الجنيد: عبادة العارف تاج على

---

(١) وهو في الحلية عن وهب بن منبه عن عيسى عليه السلام (١/ ١٠).

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر، ٩]، تذوق الصوفية معنى الحرية من هذه الآية فقال الإمام القشيري: إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه، وآثروا به عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أزرع وشبر، وإنما يرجع الأمر إلى آخره»، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٠٦)، كنز العمال (٣/ ٢٩٦).

(٣) **الحرية**: انقطاع الخاطر عن التعلق بما سوى الله تعالى بالكلية، قال القشيري: إن الحرية تتحدد أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولا يجري عليه سلطان المكونات. (الرسالة، ص ٢١٩).

(٤) وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء، فتتساوى عند أخطار الإعراض. (الرسالة، ص ٢١٩).

(٥) متفق عليه، رواه البخاري برقم (١٠٨٧)؛ ومسلم برقم (٢٨١٩).

الرؤوس، يعني كمال الكمال.

العبـوديـة[1]:

وهي القيام بآداب الربوبية مع شهود ضعف البشرية.

وقال بعضهم: هي القيام بحق الطاعات بشرط التوقير والنظر إلى ما منك بعين التقصير، أو ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار، أو التبري من الحول والقوة والإقرار بما يوليك ويعطيك من المنة.

وأجمع العبارات فيها ما قال ابن عطاء[2]: حفظ الحدود والوفاء بالعهود والرضا بالموجود والصبر على المفقود.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر، ٩].
وقال ﷺ: «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار»، رواه البخاري برقم، (١٠٧٨)، ومسلم برقم، (٤١٣٥).

(٢) أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، أبو العباس الآدمي الصوفي الزاهد، كان موصوفاً بالعبادة والاجتهاد، روى اليسير عن يوسف بن موسى وغيره، وروى عنه محمد بن علي بن حبيش، وقال: كان له في كل يوم ختمة وفي رمضان في اليوم والليلة ثلاث ختمات، وبقي في ختمته يستنبط منها بضع عشرة سنة، وكان ينتصر للحلاج وامتحن بسببه. قال السلمي: امتحن بسبب الحلاج حتى أحضره حامد بن العباس، وقال له: ما الذي يقول الحلاج، فقال: ما لك ولذاك، عليك بما ندبت له من أخذ الأموال وسفك الدماء، فأمر به أن تفك أسنانه، ففعل به ذلك، فقال قطع الله يديك ورجليك، ثم مات بعد أربعة عشر يوماً ثم بعد ذلك قطعت أربعة حامد الوزير. توفي سنة ٣٠٩ هـ. (تاريخ الإسلام، ٥/ ٣٤٣)؛ (المنتظم، ٦/ ١٦٠).

قلت: وأحسن ما في تفسير العبودية أن تقدر أن لك عبداً اشتريته بمالك فكما تحب أن يكون عبدك معك فكن أنت مع مولاك، فالعبد لا يملك مع سيده شيئاً من نفسه ولا ماله ولا يمكنه مع قهرية سيده تدبير ولا اختيار، ولا يتزيَّ إلا بزي العبيد أهل الخدمة ويكون عند أمر سيده ونهيه، وإذا كان حاذقاً فاهماً عمل ما يرضي سيده قبل أن يأمره، ويفهم عن سيده بأدنى إشارة إلى غير ذلك من الآداب المرضية في العبيد المؤدبين.

وقال أبو علي الدقاق[1] ﷺ: أتم من العبادة.

فأول المراتب عبادة، ثم عبودية، ثم عبودة، فالعبادة للعوام، والعبودية للخواص، والعبودة لخواص الخواص.

قلت: والعبودية هي الحرية الوهبية والله تعالى أعلم.

القناعة[2]:

الاكتفاء بالقسمة وعدم التشوف للزيادة والاستغناء بالموجود وترك التشوف إلى المفقود.

---

(١) هو الحسن بن علي، الزاهد النيسابوري، شيخ الصوفية، ولسان وقته، وإمام عصره، تعلم العربية، وحصل علم الأصول وخرج إلى مرو فتفقه بها على الخضري، وأعاد على أبي بكر القفال المرزوي وبرع، ثم أخذ في العمل وسلك طريق التصوف، وصحب أبا القاسم النصراباذي وبرع، حكى عنه أبو القاسم القشيري تلميذه أحوالاً وكرامات. توفي في سنة ٤٠٦ هـ. (تاريخ الإسلام، ٦/ ٢٥٠)؛ (الوافي بالوفيات، ٦/ ٢٠٥).

(٢) قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل، ٩٧]. قال القشيري: قال كثير من المفسرين الحياة الطيبة في الدنيا القناعة، (الرسالة، ص ١٥٩).

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة =

وهي الحياة الطيبة والرزق الحسن في قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج، ٥٨]. أي والذين هاجروا في سبيل الله، ثم قتل بعضهم أو مات ليرزقن الله من بقي منهم رزقاً حسناً، وهي من ثمرة الغنى بالله.

قال وهب بن منبه[1]: إن العز والغنى خرجا يجولان فلقيا القناعة فاستقرا فيها.

ومرجعها إلى سد باب الطمع وفتح باب الورع وهي مطلوبة في أمور الدنيا فقط، وأما في أمور الآخرة أو في زيادة العلم والترقي في المعرفة فمذمومة، ولذلك قيل: القناعة من الله حرمان[2].

العافية:

وهي سكون القلب وخلوه من الإنزعاج والاضطراب

= العرض، ولكن الغنى غنى النفس» متفق عليه، البخاري برقم (٦٠٨١)؛ مسلم برقم (١٠٥١).

(١) وهب بن منبه اليماني الصنعاني، أبو عبد الله الأبناوي، تابعي ثقة، ولد سنة ٣٤ هـ. روى عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس وغيرهم، وعنه ابناه عبد الله وعبد الرحمٰن. كان عابداً فاضلاً قرأ كتب أهل الكتاب. توفي سنة ١١٣ هـ (تهذيب التهذيب، ١٢/ ٣٣٨)؛ (الثقات لابن حبان، ٤٨٧٥).

(٢) قال أكثم بن صيفي: من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والثروة، وقال أبو العتاهية:

غنى النفس ما يكفيك من سد فاقه
فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

والتقلب، ثم إن كان بالسكون إلى الله والرضا عنه فهي العافية الكاملة وإن كان بجريان الأسباب الموافقة فهي العافية العادية.

وفي الحديث: «ما أعطي أحد بعد اليقين خيراً من العافية»[1]، فعافية العامة سكونهم إلى الأسباب فإذا انخربت اضطربت قلوبهم وتزلزلت لخرابها من نور اليقين، وعافية الخاصة سكونهم إلى مسبب الأسباب فعافيتهم دائمة وربما يزيد يقينهم إذا انخرمت الأسباب، كما قال بعضهم: نحن كالنجوم كلما اشتدت الظلمة قوي نورنا.

وقال ذو النون ﷺ[2]: لو كانت السماء من زجاج والأرض من نحاس ومصر كلها عيالي ما اهتممت لهم برزق. وعافية خاصة الخاصة سكونهم إلى شهود الحق غائبين عن الأسباب وعدمها غرقى في بحر التوحيد وأسرار التفريد لا تنزل الهموم بساحتهم، ولا تكدر صفاء مشربهم جعلنا الله منهم آمين.

اليقين[3]:

وهو سكون القلب إلى الله بعلم لا يتغير ولا يحول ولا

---

(1) هال في تخريج أحاديث الإحياء (٤/ ٥٠)، أخرجه النسائي في اليوم والليلة بإسناد جيد.

(2) أبو الفيض، ثوبان بن إبراهيم المصري كان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً، سعوا به إلى المتوكل على الله واستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده إلى مصر مكرماً، توفي سنة ٢٤٥ هـ (الكوكب الدري في ترجمة ذو النون المصري، ص ٣٥)؛ (الرسالة القشيرية، ص ٤٣٣).

(3) في اللغة: العلم الذي لا شك فيه، أو العلم الحاصل بعد الشك، =

ينقلب ولا يزول عند هيجان المحركات وارتفاع الريب في مشاهدة الغيب.

وعلامته ثلاث: رفع الهمة عن الخلق عند الحاجة، وترك المدح لهم في العطية، والتنزه عن ذمهم عند المنعة.

فيقين العامة بتوحيد أفعاله فسكنوا إليه في المنع والعطاء، ويقين الخاصة بتوحيد صفاته فرأوا الخلق موتى ليس بيدهم حركة ولا سكون، ويقين خاصة الخاصة بتوحيد ذاته فشاهدوه في كل شيء وعرفوه عند كل شيء ولم يشهدوا معه شيئاً.

علم اليقين[1]، وعين اليقين وحق اليقين:

علم اليقين: ما كان ناشئاً عن البرهان.

وعين اليقين[2]: ما نشأ عن الكشف والبيان.

وحق اليقين[3]: ما نشأ عن الشهود والعيان.

= وفي الاصطلاح: هو التصديق الجازم. واليقين عند أهل الحقيقة: رؤية العيان بقوى الإيمان لا بالحجة والبرهان.

(١) علم اليقين: أبلغ علم وأوكده، ولا يكون معه مجال عناد ولا احتمال زوال. وأصحابه علماء راسخون عرفانهم بالاستدلال والبرهان، أو صالحون عرفانهم بإمارات وقناعات تطمئن إليها نفوسهم ويقينهم لذلك ذاتي.

(٢) وعين اليقين: وأصحابها الحكماء، وهي أن تصير بحيث تشاهد المعقولات في المعارف المفيضة إياها كما هي..

(٣) وحق اليقين: وأصحابها الأنبياء والأولياء على حسب تفاوتهم في المراتب، وهي أن تصير بحيث تتصل بالمعقولات إتصالاً عقلياً، =

فعلم اليقين لأرباب العقول من أهل الإيمان. وعين اليقين لأرباب الوجدان من أهل الاستشراف على العيان، وحق اليقين لأهل الرسوخ والتمكين في مقام الإحسان.

ومثال ذلك كمن سمع بمكة مثلاً ولم يرها فعنده علم اليقين بوجودها، فإذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها فعنده عين اليقين، فإذا دخلها وعرف طرقها وأماكنها فهذا عنده حق اليقين.

وكذلك الناس في معرفة الحق تعالى، فأهل الحجاب استدلوا حتى حصل لهم العلم اليقيني بوجود الحق، وأهل السَيَر من المريدين المستشرفين على الفناء في الذات حصل لهم عين اليقين حين أشرقت عليهم أنوار المعاني وغابت عنهم ظلال الأواني[1]، غير أنهم باقون في دهشة الفناء لم يتمكنوا من دوام شهود الحق فإذا تمكنوا من دوام شهوده ورسخت أقدامهم في معرفته حصل لهم حق اليقين وهذه نهاية النعمة وغاية السعادة جعلنا الله منهم بمّنه وكرمه آمين.

النعمة[2]:

هي ملازمة الأفراح ومباعدة الأتراح وإصابة الأغراض

= وتلافي ذاتها تلافياً روحياً.

(١) اصطلح القوم على تسمية الأسرار التي قامت بها الأكوان معاني، ويسمون الأكوان أواني حاملة للمعاني فالأواني كلها لطيفة في الحقيقة تابعة للطف المعاني لأنها منها وإنما تكثفت في حق أهل الحجاب الذين وقفوا مع ظواهر الأشياء. (إيقاظ الهمم، ص ٢١٢).

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [هود، ١٠٨].

ونزاهة الأعراض[1].

وهي على قسمين: نعمة ظاهرة كالصحة والعافية والكفاية من الحلال، ونعمة باطنة كالإيمان والهداية والمعرفة.

والناس في النعمة الظاهرة على ثلاثة أقسام: قوم فرحوا بالنعمة لما لهم فيها من المتعة فحجبوا بها عن المنعم، وقوم فرحوا بالمنعم دون شيء سواه. قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام، ٩١]، فشكر الأولين يزيد بزيادتها ويزول بزوالها وشكر الثالث دائم في السراء والضراء وهذا هو شكر الخواص.

الفراسة[2]:

وهي خاطر يهجم على القلب أو وارد يتجلى فيه لا يخطيء غالباً إذا صفا القلب[3]. وفي الحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[4].

وهي على حسب قوة القرب والمعرفة فكلما قوي القرب

---

(١) قال الإمام الغزالي في الإحياء (٤/ ٨٤) إن كل خير ولذة وسعادة بل = كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة، ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية.

(٢) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحجر، ٧٥].

(٣) وفي اللغة التثبيت والنظر، مشتقة من فراسة السبع، وهو في اصطلاح الصوفية: هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب.

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣١٢٧)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٧٣)؛ رواه الطبراني وإسناده حسن.

وتمكنت المعرفة صدقت الفراسة لأن الروح إذا قربت من حضرة الحق لا يتجلى فيها غالباً إلا الحق.

وهي ثلاث مراتب: فراسة العامة، وهي كشف ما في ضمائر الناس وما غاب من أحوالهم، وهي فتنة في حق من لم يتخلق بأخلاق الرحمٰن، وفراسة الخاصة، وهي كشف أسرار المقامات والمنازلات والاطلاع على أنوار الملكوت، وفراسة خاصة الخاصة، وهي كشف أسرار الذات وأنوار الصفات والغرق في بحر أسرار الجبروت. وقال الكتاني(١): هي مكاشفة الحق ومعاينة الغيب.

وقال الواسطي(٢): هي سواطع أنوار الذات وتمكين جملة السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق أياها فيتكلم على ضمائر الخلق. قلت: قوله فيتكلم ليس بشرط في فراسة الخاصة والله تعالى أعلم.

---

(١) هو أبو بكر، محمد بن علي بن جعفر الكتاني، أصله من بغداد. صحب الجنيد والنوري وأبا سعيد الخراز، أقام بمكة مجاوراً بها إلى أن مات، كان أوحد الأئمة المشتهرين في علومهم في الطريقة، وكان المرتعش يقول: الكتاني سراج الحرم. (حلية الأولياء، ١/ ٣٥٧)؛ (جامع كرامات الأولياء، ١/ ١٧٦).

(٢) **الواسطي**: هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، أصله من فرغانة. كان يعرف بابن الفرغاني، من قدماء أصحاب الجنيد والنوري، وهو من مشايخ القوم، لم يتكلم في أصول التصوف مثل كلامه، كان عالماً بأصول الدين والعلوم الظاهرة، دخل خراسان واستوطن كورة مرو، وأكثر كلامه بها. توفي سنة ٣٢٠ هـ، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، (١/ ٤٩٥)؛ كشف المحجوب، (ص ١٨٤).

الخـــلـق[1]:

وهي ملكة تصدر عنه الأفعال بسهولة، ثم إن كانت الأفعال حسنة كالحلم والعفو والجود ونحوها سمي خلقاً حسناً وإن كانت سيئة كالغضب والعجلة والبخل سُمي خلقاً سيئاً. قال وهب: ما تخلق عبد بخلق أربعين صباحاً إلا جعل الله له ذلك طبيعة فيه[2]، فالخلق الحسن يكتسب والسيء يجاهد حتى يزول، والخلق الحسن يعدل الصيام والقيام وهو ثمرة التصوف فمن لم يحسن خلقه فتصوفه أشجار بلا ثمار ومرجع حسن الخلق أن لا تغضب ولا تغضب ولا تبخل ولا تحقد وبالله التوفيق[3].

الجود والسخاء والإيثار:

فالجود[4]: أن لا يصعب عليه البذل فمن أعطى البعض

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم، ٤].
وسئل أبو حفص عن الخلق فقال: الخلق ما اختاره الله عز وجل لنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝﴾ [الأعراف، ١٩٩]. وعن أبي هريرة ؓ قال: قيل يا رسول الله ادع الله تعالى على المشركين، فقال: «إني لم أبعث لعاناً إنما بعثت رحمة». أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٩).

(٢) الرسالة، ص ٢٤٣.

(٣) قال الفضل ابن عباس: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق. (الرسالة، ٢٤٣).

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر، ٩]. قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝﴾ [الإنسان، ٨].

وأبقى الأكثر فصاحب سخاء، ومن بذل الأكثر فصاحب جود، ومن قاسى الضراء وآثر غيره فصاحب إيثار.

فجود العامة بالأموال، وجود الخاصة بالنفوس، وجود خاصة الخاصة بالأرواح يبذلونها للموت بالمجاهدة، ثم تحيا الحياة الأبدية بالمشاهدة[1].

الفقــر[2]:

وهو نفض اليد من الدنيا وصيانة القلب من إظهار الشكوى[3]، ونعت الفقير الصادق ثلاثة أشياء: صيانة فقره،

---

(١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «السخي قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة. بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله تعالى بعيد من الناس بعيد من الجنة، قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله تعالى من العابد البخيل»، (أخرجه الترمذي، رقم ١٩٦٢).

(٢) قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة، ٢٧٣]. وعن عبد الله بن مسعود قال رسول الله ﷺ: «إن المسكين ليس بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، فقيل: من المسكين يا رسول الله؟ قال: الذي لا يجد ما يغنيه، ويستحي أن يسأل الناس، ولا يفطن فيتصدق عليه»، رواه أحمد، وقال في مجمع الزوائد: (٣/ ٩٢): رجال أحمد رجال الصحيح. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» رواه الترمذي برقم (٢٣٥٤).

(٣) قال الإمام الغزالي في الإحياء (٤/ ١٩٠): إن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه..

وحفظ سره، وإقامة دينه.

وقال جعفر الخلدي[1]: خدمت ستمائة شيخ، فما وجدت من شفى قلبي من أربع مسائل، حتى رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال لي: سل عن مسائلك فقلت: يا رسول الله ما العقل؟ فقال: أدناه ترك الدنيا، وأعلاه ترك التفكر في ذات الله.

فقلت: وما التوحيد؟

فقال: كل ما أتى به الوهم أو جره الفهم فربنا جل وعز مخالف لذلك.

فقلت: وما التصوف، فقال: ترك الدعاوي وكتمان المعاني.

فقلت: وما الفقر؟

فقال: هو سر من أسرار الله يودعه فيمن يشاء من عباده فمن كتمه فهو من أهله، وزاده الله منه ومن باح به نفاه الله عنه. قلت جواب كل إنسان على قدر مقامه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون».

فقوله عليه الصلاة والسلام، في العقل أعلاه ترك التفكر في ذات الله، أما التفكر في كنه الربوبية فمنهي عنه إذ لا يُدرك،

---

(١) جعفر الخلدي: أبو محمد الخواص كتب الآثار وصحب الجنيد وسفيان الثوري، حج سنين، وكان المرجع إليه في علوم القوم وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم، حج قريباً من ستين حجة ومات ببغداد سنة ٣٤٨ هـ (حلية الأولياء، ١٠/ ٣٨١)؛ (مرآة الجنان، ٢/ ٣٤٢).

وأما التفكر في أسرار الربوبية وأنوار صفاتها فلا عبادة أعظم منها.

وقوله أيضاً عليه الصلاة والسلام في التوحيد: كل ما أتى به الوهم... إلخ. الوهم لا يدرك إلا حس الكائنات فهو قصير، والفهم بلا ذوق لا يدرك أسرار التوحيد لأنها خارجة عن الوهم، ودرك العقل فظهر معنى قوله عليه الصلاة والسلام كل ما أتى به الوهم... إلخ.

وقوله عليه الصلاة والسلام في شأن الفقر، من كتمه فهو من أهله، أي فيكون من السابقين ويزيده تعالى من أسراره وأنواره وهي حلاوة المعاملة والمعرفة.

يحكى عن أبي علي الدقاق أنه جلس يوماً مع بعض أصحابه فكانت منه غفلة حتى شكى ضيق حاله فلما تفرق أصحابه نام بعضهم فهتف به هاتف، وقال: بالله أبلغ أبا عبد الله الدقاق ما أقول لك ثم أنشد:

قل للرويجل من ذوي الأقدار ... الفقر أفضل شيمة الأحرار

يا من شكا للخلق فعلة ربه ... هلا شكوت تحمل الأوزار

إن الذي ألبست من حلل التقى ... لو شاء ربك كنت عنها عار

الذكر[1]:

وهو إذا أطلق ينصرف لذكر اللسان، وهو ركن قوي في

---

(١) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب، ٤١، ٤٢]. وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم

طريق الوصول[1]، وهو منشور الولاية فمن ألهم الذكر فقد أعطي المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل.

مِن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر، ٢٢]. وقا تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد، ٢٨].

(١) قال ابن عطاء الله في حكمه: لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة. ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور. ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور اهـ.

قال ابن عجيبة في شرح الحكم (ص، ٧٩): ذكر الله تعالى هو أفضل الأعمال التي يقطع بها المريد المقامات بسرعة، فالذكر ركن قوي في طريق القوم في كل وقت.

قال رجل: يا رسول الله كثرت علي شعائر الإسلام، فأوصني بأمر أدرك به ما فاتني وأوجز، فقال ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله». رواه الترمذي، برقم (٣٣٧٥)، وابن ماجة (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٩٠).

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرجحها في وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم». قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ذكر الله». أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٧)، وابن ماجه رقم (٣٧٩٠). قال القشيري: الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر. قال: والذكر على نوعين: ذكر اللسان وذكر القلب، فذكر اللسان يصل به العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وقفه في حال سلوكه. ومن خصائص الذكر أنه غير موقت بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله تعالى إما فرضاً وإما ندباً والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في بعض الأوقات، والذكر مستدام في عموم الحالات. (الرسالة، ص ٢٢٣).

فذكر العامة باللسان وذكر الخاصة بالجنان وذكر خاصة الخاصة بالروح والسر وهو الشهود والعيان فيذكر الله عند كل شيء وعلى كل شيء، أي يعرف الله فيه وهنا يخرس اللسان ويبقى كالمبهوت في محل العيان.

ويُعد ذكر اللسان في هذا المقام ضعفاً وبطالة كما قال القائل:

ما أن ذكرتك الاهم يلعنني سري وقلبي وروحي عند ذكراك
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي أياك ويحك والتذكار إياك
أما ترى الحق قد لاحت شواهده وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطي مشيراً لهذا المقام: الذاكرون في ذكره أشد غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه.

الوقت[1]:

قد يطلقونه على ما يكون العبد عليه في الحال من قبض أو بسط أو حزن أو سرور.[2]

قال أبو علي الدقاق: الوقت ما أنت به في الحال فإن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى.

---

(١) قال القشيري: (الرسالة ص ٥٥): حقيقة الوقت عند أهل التحقيق حادث متوهم، علق حصوله على حادث متحقق.

(٢) قول الدقاق (الرسالة ص ٥٥). ويقولون الصوفي ابن وقته، يريدون بذلك: أنه مشتغل بما هو أولى به في الحال، قائم بما هو مطالب به في الحين ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت، ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت.

يريد أن الوقت ما كان الغالب على الإنسان وقد يعنون به الزمان الذي بين الماضي والمستقبل.

يقولون: الصوفي ابن وقته، يريدون أنه مشتغل بما هو أولى به في الوقت لا يدبر في مستقبل ولا ماض، بل يهمه ما هو فيه وكل وقت له آداب تطلب فيه، فمن أخل بأدبه مقته.

ولذلك قيل: الوقت كالسيف فمن لاينه سلم، ومن خاشنه قصم وملاينته القيام بأدبه فوقت القهرية آدابه الرضى والتسليم تحت مجاري الأقدار، ووقت النعمة آدابه الشكر، ووقت الطاعة آدابه شهود المنة من الله ووقت المعصية آدابه التوبة والإنابة.

الحال والمقام[1]:

الحال معنى يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ولا تسبب ولا اكتساب من بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو اهتياج، ويظهر أثره على الجوارح قبل التمكن من شطح ورقص وسير وهيام وهو أثر المحبة لأنها تحرك الساكن أولاً، ثم تسكن وتطمئن ولذا قيل فيها: أولها جنون، ووسطها فنون، وآخرها سكون.

وقد يكتسب الحال بنوع تعمل كحضور حلق الذكر،

---

(١) والكيس: من كان يحكم وقته، إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة، وإن كان وقته المحو فالغالب عليه أحكام الحقيقة. الوقت كالسيف: أي كما أن السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب (الرسالة، ص ٥٦).

واستعمال السماع، وقد يطلب اكتسابه بخرق عوائد النفس حين يعتريها برودة وفتور، وفرق وكسل، فينبغي أن يتحرك في تسخينها بما يثقل عليها من خرق العوائد.

وقد يطلق الحال على المقام، فيقال: فلان صار عنده الشهود مثلاً حالاً ومنه قول المجذوب:

حققت ما وجدت غيره وأمسيت في الحال هاني

وأما المقام فهو ما يتحققه العبد بمنازلة واجتهاد من الأدب، وما يتمكن فيه من مقامات اليقين بتكسب وتطلب، فمقام كل واحد موضع إقامته.

فالمقامات تكون أولاً أحوالاً حيث لم يتمكن المريد منها لأنها تتحول، ثم تتحول ثم تصير مقامات بعد التمكين، كالتوبة مثلاً تحصل ثم تنقص حتى تصير مقاماً، وهي التوبة النصوح وهكذا بقية المقامات وشرطه أن لا يرتقي مقاماً حتى يستوفي أحكامه فمن لا توبة له لا تصح له إنابة، ومن لا إنابة له لا تصح له استقامة، ومن لا ورع له لا يصح له زهد وهكذا.

وقد يتحقق المقام الأول بالثاني إذا ترقى عنه قبل إحكامه إن كان له شيخ كامل، وقد يطوى عنه المقامات ويدسه إلى الفناء إن رآه أهلاً بتوقد قريحته ورقة فطنته، فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب هذا معنى المقام بفتح الميم.

وأما المقام بالضم فمعناه الإقامة ولا يكمل لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الحق تعالى فيه، وفي الحكم من علامات النجاح في النهاية الرجوع إلى الله في البداية.

وقال أيضاً: من كانت بالله بدايته كانت إليه نهايته.

القبض والبسط:

وهما حالتان بعد الترقي من حال الخوف والرجاء، فالقبض للعارف[1] بمنزلة الخوف للطالب، والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمريد.

والفرق بين القبض والخوف وبين الرجاء والبسط أن الخوف متعلقه مستقل، أما فوات محبوب أو هجوم محذور بخلاف القبض[2] فإنه معنى يحصل في القلب إما سبب أولاً.

وكذلك الرجاء يكون لانتظار محبوب في المستقبل.

والبسط شيء[3] موهوب يحصل في الوقت.

فحقيقة القبض انكماش وضيق يحصل في القلب يوجب السكون والهدوء والبسط انطلاق وانشراح للقلب يوجب التحرك والانبساط ولكل واحد آداب مذكورة في المطولات[4].

---

(١) قال الجنيد: الخوف من الله يقبضني، والرجاء منه يبسطني، والحقيقة تجمعني، والحق يفرقني، إذا قبضني بالخوف أفناني عني، وإذا بسطني بالرجاء ردني عليّ. قال ابن عطاء الله في حكمه: بسطك كي لا يبقيك مع القبض، وقبضك كي لا يتركك مع البسط، وأخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه.

(٢) **والقبض**: حزن وضيق يعتري القلب إما بسبب فوات مرغوب أو عدم حصول مطلوب أو بغير سبب (إيقاظ الهمم، ص ١٤٠).

(٣) قال في شرح الحكم (ص ١٤١): البسط فرح يعتري القلوب، أو الأرواح إما بسبب قرب شهود الحبيب، أو شهود جماله، أوصاف كماله وتجلي ذاته أو بغير سبب.

(٤) فالعوام إذا غلب عليهم الخوف انقبضوا، وإذا غلب عليهم =

الخواطر والواردات:

الخواطر خطابات ترد على القلوب تكون بإلقاء ملك أو شيطان أو حديث نفس فإن كان من الملك فإلهام أو من الشيطان فوسواس، أو من النفس فهواجس، فما وافق الحق ودعا إلى اتباعه فمن الملك، وما وافق الباطل أو دعا إلى معصية غالباً فمن الشيطان وقد يدعوا إلى الطاعة حيث يترتب عليها معصية كالرياء وحب المدح. وما دعا إلى اتباع الشهوة والدعة أي: الراحة فمن النفس. قال أبو علي الدقاق: من أكل الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس، وكذلك من كان قوته معلوماً. وفرق الجنيد بين هواجس النفس ووسواس الشيطان بأن ما دعت إليه النفس لا تنتقل عنه تعاوده مرة بعد مرة إلا بعد مجاهدة كبيرة ووسواس الشيطان ينتقل عنها فإذا خالفته في معصية انتقل لأخرى وربما ذهب بالتعوذ ونحوه، ولذلك كانت النفس أخبث من سبعين شيطاناً.

وأما الواردات[1] فهي ما يرد على القلوب من التجليات

= الرجاء انبسطوا، والخواص إذا تجلى لهم بوصف الجمال انبسطوا، وإذا تجلى لهم بوصف الجلال انقبضوا، وخواص الخواص استوى عندهم الجلال والجمال، فلا تغيرهم واردات الأحوال لأنهم بالله ولله. ولا شيء سواه. (إيقاظ الهمم، ص ١٤١).

(١) **الوارد**: نور إلهي يقذفه الله في قلب من أحب من عباده. وهو على ثلاثة أقسام على حسب البداية والوسط والنهاية:

الأول: وارد الانتباه، وهو نور يخرجك من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة، وهو لأهل البداية من الطالبين. فإذا تيقظ من نومه وانتبه من غفلته استوى على قدمه طالباً لربه، فيقبل عليه بقلبه وبقالبه وينجمع عليه بكليته. =

القوية أو الخواطر المحمودة بما لا يكون للعبد فيه تكسب.

والفرق بين الخواطر والواردات أن الواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع أو ما يتضمن معناه والواردات تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط ووارد شوق ووارد خوف إلى غير ذلك من المعاني وقد يختطفه عن شاهد حسه وهو قريب من الحال وقد يأتي الوارد بكشف غيب فيجب تصديقه إن صفا القلب من كدورة الخواطر والله تعالى أعلم.

النفس والروح والسر[1]:

النفس عند القوم عبارة عما يذم من أفعال العبد وأخلاقه.

فالأول: ما كان من كسب العبد كمعاصيه ومخالفته، والثاني: ما كان من جبلته وطبيعته كالكبر والحسد والغضب وسوء الخلق وقلة الاحتمال، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة

= **القسم الثاني**: وارد الإقبال: وهو نور يقذفه الله في قلب عبده، فيحركه لذكر مولاه، ويغيبه عما سواه، فلا يزال مشتغلاً بذكره غائباً عن غيره حتى يمتلأ القلب بالنور، ويغيب عما سوى المذكور، فلا يرى إلا النور، فيخرج من رق الأغيار ويتحرر من رق الآثار.

القسم الثالث: وارد الوصال، وهو نور يستولي على قلب العبد، ثم يستولي على ظاهره وباطنه، فيخرجه من سجن نفسه ويغيبه عن شهود حسه. (إيقاظ الهمم، ص ١٠٣).

(١) قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس، ٧]. وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء، ٨٥]. قال ابن =

ينسب للنفس أدباً مع الحق[1].

والروح عبارة عن محل التجليات الإلٰهية وكشف الأنوار الملكوتية.

والسر عبارة عن محل تجليات الأسرار الجبروتية.

فالنفس للعوام، والروح للخواص، والسر لخواص الخواص. النفس لأهل عالم الملك، والروح لأهل عالم الملكوت، والسر لأهل عالم الجبروت، وسيأتي حقائقها.

وهل النفس والروح والسر متعددات في نفسها أو متحدة وإنما تختلف التسمية باختلاف التصفية[2].

قال بعضهم: النفس لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل

= عجيبة في البحر المديد (٣/ ٢٣٨): أكثر الناس الكلام في شأن الروح، فرأى بعضهم الإمساك. عنها أولى، لأن الرسول ﷺ لم يجب عنها، وبين الحق تعالى أنها من أمر الله وسر من أسراره، ورأى بعضهم أن النهي لم يرد عن الخوض فيها صريحاً فتكلم على قدر فهمه.

(١) وأشد أحكام النفس تخيلها أن شيئاً منها حسن، أو أن لها استحقاق من القدر، ولذلك عُد هذا من الشرك الخفي، ومعالجة الأخلاق من إهمال النفس وتحطيمها أتم من مقاساة الجوع والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة. (الرسالة، ص ٨٧).

(٢) والروح ما دامت متظلمة بالمعاصي والذنوب والشهوات والعيوب سُميت نفساً، فإذا انزجرت وانعقلت انعقال البعير سُميت عقلاً، فما زالت تتقلب في الغفلة، والحضور سُميت قلباً، فإذا اطمأنت وسكنت واستراحت من تعب سُميت روحاً، فإذا تصفّت من غبش الحس سُميت سراً لكونها صارت سراً من أسرار الله حين رجعت إلى أصلها، وهو سر الجبروت، (الرسالة، ص ١٠٤).

الأخلاق، كما أن الروح لطيفة مودعة في هذا القلب هي محل الأخلاق المحمودة، ومحلهما واحد وهو الإنسان، فالنفس والروح من الأجساد اللطيفة كالملائكة والشياطين، وهما ساكنان في الإنسان، فكما أن البصر محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم من ذات واحدة، فكذلك محل الأوصاف الذميمة النفس، ومحل الأوصاف الحميدة الروح، وأما السر فهو لطيفة مودعة في القلب كالروح إلا أنه أشرف من الروح لكمال أوصافه.

وقال الساحلي: النفس والقلب والروح والسر الباطن أسماء لمسمى واحد وهو اللطيفة الربانية التي كان الإنسان بها إنساناً، وتختلف أسماؤهما باختلاف أوصافها، فإن مالت لجهة النقض سُميت نفساً، وإن تخلصت من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان سُميت قلباً، وإن تخلصت منه إلى مقام الإحسان ولكن بقي فيها أثر النقص كأثر الجراحات بعد البرء سُميت روحاً وإن ذهبت تلك الآثار وصفتْ سُميت سراً، وإن أشكل الأمر سُميت بالباطن. والاختلاف في الروح شهير. قال بعضهم: هي الحياة. وقال بعضهم: أعيان مودعة في هذه القوالب أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ما دامت الحياة فيه، فالإنسان حيّ بالحياة ولكن الأرواح مودعة في القوالب ولها ترق في حال النوم ومفارقة ورجوع، وهي التي وقع بها النفخ، وأما النفس فهي مخلوقة في الجنين قبل نفخ الروح بها يقع التحرك وهي ملازمة للبدن لا تفارقه إلا بالموت فتخرج الروح أولاً ثم تنقطع النفس، فتقطع الحياة. فالإنسان روح ونفس وجسد، والحشر للجملة وكذلك العقاب والثواب والأرواح مخلوقة قبل

الأبدان سارية فيها سريان النار في الفحم والماء في العود الرطب.

قلت: هذه الأعيان المودعة في القوالب هي اللطيفة الربانية اللاهوتية وهي التي تتطور وتختلف اسماؤها باختلاف تطورها كما قال الساحلي، والله أعلم.

وكون الأرواح حادثة يجري على مذهب أهل الفرق، وأما أهل الجمع فلا حادث عندهم لفناء الكائنات عن نظرهم.

قال الجنيد: إذا اقترن الحادث بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم، وسألت بعض إخواننا العارفين هل الأرواح حادثة أو قديمة، فقال الرجال الأشباح عندهم قديمة. يشير إلى مقام الفناء كما تقدم لكنه سر مكتوم.

النصر والتأييد والعصمة:

النصر تقوية الجوارح على فعل الخير.

والتأييد تقوية البصيرة من داخل.

فالباعث الباطني تأييد، والبطش ومساعدة الأسباب من خارج نصر وهو جامع للهداية التي مرجعها للبصيرة العلمية الكاشفة لما عليه الشيء بحقيقته.

والرشد الذي مرجعه إلى الإرادة الباعثة إلى جهة السعادة.

والتسديد الذي مرجعه إلى القدرة على توجيه الحركات إلى نحو المطلوب وتيسيرها عليه من التأييد، ويقرب من التأييد الجامع.

لما ذكر العصمة، وهي عبارة عن وجود إلٰهي يسبح في الباطن يقوي به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع في باطنه غير محسوس، قاله الغزالي[1].

فهذه ست حقائق:

١ ـ الهداية.

٢ ـ الرشد.

٣ ـ العصمة.

٤ ـ التسديد.

٥ ـ النصر.

٦ ـ التأييد.

وقد علمت كلها من كلام الغزالي ﵁. والتحقيق أن الهداية، هي تصويب العبد إلى طريق توصله إلى الحق وقد تطلق على بيانها فقط.

والرشد، هو توجيه القلب إلى طريق السعادة. والتسديد،

---

(١) هو الإمام زين الدين محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي الفقيه الشافعي حجة الإسلام. طلب العلم في طوس، ثم قدم نيسابور ولزم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني حتى تخرج عن مدة قريبة وصار أنظر أهل زمانه، وواحد أقرانه، وأعاد للطلبة، ناظر الأقران بحضرة نظام الملك فولاه نظام تدريس مدرسته ببغداد، وفي بغداد ظهر عليه التزهد فترك الحشمة وأخذ في مجاهدة النفس وتزيا بزي الصالحين، ثم عاد نيسابور. له مصنفات في التصوف، والفقه وعلم الكلام، منها: إحياء علوم الدين، المستصفى، وإلجام العوام، والوجيز وغيرها. توفي سنة ٤٧٥ هـ. (تاريخ الإسلام، ٧/ ٤٣٩)؛ (المنتظم، ٩/ ١٧٠).

هو القدرة على سلوك طريق الخير وتجنب الشر. والعصمة، هو وجود إلهي إلى آخر ما تقدم.

الحكمة[1]:

وهي إتقان الشيء وإبداعه، ففي العلم تحقيقه والعمل به، وفي القول إيجازه وتكثير معانيه، وفي العمل إتقانه وإكماله.

ويقال: نزلت الحكمة على ثلاثة فرق: على ألسنة العرب، وأيدي الصين، وعقول اليونان، والله تعالى أعلم.

العقل[2]:

وهو نور يميز به بين النافع والضار ويحجز صاحبه عن ارتكاب الأوزار، أو نور روحاني تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية، أو قوة مهيئة لقبول العلم، سُمي عقلاً لأنه يُعقل صاحبه عما لا ينبغي.

---

(١) انظر الإحياء ٤/١٠٧.
قال في منازل السائرين (ص ٢٥٣): الحكمة الذي هو محصل مقام الإحسان ولا تكون إلا لعارف وارث، وذلك يرقى بالروح عن التصميم بالغيرة إلى دلالة الخلق على الله عز وجل.

(٢) قال الله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة، ٧٥]. وقال تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة، ١٧١].
وقد جعل القرآن العقل صفة القلب. والعقل، هو العلم بصفات الأشياء من حسنها، وقبحها وكمالها ونقصانها. (التفسير الكبير، الفخر الرازي، ١/٤٢١).

وهو على قسمين: عقل أكبر، وعقل أصغر. أما العقل الأكبر: فهو أول نور أظهره الله للوجود، ويقال له الروح الأعظم ويسمى أيضاً بالقبضة المحمدية، ومن نوره يمتد العقل الأصغر كامتداد القمر من نور الشمس، فلا يزال نوره ينمو بالطاعة والرياضة والتطهير من الهوى حتى يدخل العبد مقام الإحسان وتشرق عليه شمس العرفان، فينطوي نوره في نور العقل الأكبر كانطواء نور القمر عند طلوع الشمس فيرى من الأسرار والغيوب ما لم يكن يره قبل لأن العقل الأصغر نوره ضعيف لا يدرك إلا افتقار الصنعة إلى صانعها ولا يدري ما وراء ذلك بخلاف العقل الأكبر فإنه يدرك الصانع القديم قبل التجلي وبعده لصفاء نوره وشدة شعاعه، وفي بعض الأخبار «أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر، ثم قال له: اقعد فقعد، ثم قال له: قم فقام، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً ولا شيئاً أعز علي منك، بك آخذ وبك أعطي، وفي بعض الروايات: بك أعبد وبك أعصي»[1]، أو كما قال عليه الصلاة والسلام والحديث متكلم فيه، فالعقل

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٨٣)؛ والأوسط (٧/ ١٩٠) من حديث أبي أمامة؛ ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٥٤) وفيه عمر بن أبي صالح. قال الذهبي في لسان الميزان (٤/ ٣١٤): لا يعرف، ورواه ابن عدي في الكامل (٦/ ١٣) عن أبي هريرة مرفوعاً، وفي إسناده الفضل بن عيسى، وقد قال فيه يحيي رجل سوء، وحفص ابن عمر قاضي حلب. قال ابن حبان: يروي عن الثقات الموضوعات لا يحل الاحتجاج به بالإجماع، ورواه وهو مشهور قول الحسن البصري (الفوائد المجموعة، الشوكاني (١/ ٤٨٧).
قال العجلوني في كشف الخفا ١/ ٢٧٤: قال السخاوي والسيوطي =

الأكبر لا يناله إلا المحبوبون الذين اختارهم الله لمعرفته الخاصة.

وأما العقل الأصغر فيعطيه للخاص والعام وهو على قسمين: عقل موهوب، وعقل مكسوب. فالموهوب هو الذي جعله الله فيه غريزة، والمكسوب: هو الذي يكتسب بالتجارب والرياضات وارتكاب المحن.

قال بعضهم وعلامة العقل ثلاث: تقوى الله عز وجل، وصدق الحديث، وترك ما لا يعني. وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور»[1].

= رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، عن الحسن يرفعه، وهو مرسل جيد الإسناد ولا يلزم من رواية ابن المحبر أن يكون موضوعاً لا سيما وقد رواه الأئمة بغير إسناد ابن المحبر.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٨٩): ليس له طريق ثبت، والوارد أول ما خلق الله القلم وهو أثبت من حديث العقل.
وحاول البيضاوي في «طوالع الأنوار» الجمع بينهما قال: يشبه أن يكون هو العقل لقوله: «أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب» فليتأمل.

(١) والحديث مروي عن ابن مسعود بلفظ: قال تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «النور إذا دخل الصدر انفسح» فقيل: يا رسول الله هل لذلك علم يعرف؟ قال: «نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد لـ موت قبل نزوله». أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦)؛ والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٥٢)؛ وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٧٦)؛ وعبد الله ابن المبارك في الزهد (١/ ١٠٧). قال الدارقطني في العلل (٥/ ١٨٩)؛ =

وقال بعض الحكماء: خير ما أعطي الإنسان عقل يزجره، فإن لم يكن فحياء يمنعه، فإن لم يكن فمال يستره، فإن لم يكن فصاعقة تحرقه تستريح منه البلاد والعباد.

وهل الأرواح قبل الأشباح كان لها عقل والتحقيق أنها كانت لها عقول مقتبسة من العقل الأكبر فلذلك أقرت بالربوبية، بل كانت علامة دراكة للأشياء كما قال ابن البنا، والمعرفة والإدراك إنما يكونان بالعقل فلما برزت لعالم الأشباح أزال الله منها ذلك العقل الذي هو من العقل الأكبر وأنبت فيها العقل الأصغر عند اجتنان الولد في البطن فما زال ينمو إلى الحلم، وقيل إلى أربعين سنة فإذا اتصل العبد بالطبيب عالجه حتى يوصله إلى العقل الأكبر، فيكون صاحبه من الأولياء، وبالله التوفيق.

التوحيد[1]:

وهو على قسمين، توحيد البرهان: وهو إفراد الحق

= تفرد به ابن مسعود، وروي من طرق كلها وهم، وهو الصواب عن عمرو ابن مرة بن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ، كذلك قاله الثوري وابن المسور متروك. قال الذهبي في تعليقه على المستدرك: وفيه عدي بن الفضل ساقط.

(١) قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة، ١٦٣].
قال رسول الله ﷺ: «بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد، فقال لأهله: إذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني، ثم ذروا نصفي في البر، ونصفي في البحر في يوم ريح ففعلوا، فقال الله عز وجل للريح: أدي ما أخذت فإذا هو بين يديه، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: استحياء منك فغفر له». متفق عليه، أخرجه البخاري =

بالأفعال والصفات والذات من طريق البرهان. وتوحيد العيان، وهو إفراد الحق بالوجود في الأزل والأبد.

وقال الجنيد رضي الله عنه: هو معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل.

وأصوله خمسة أشياء: رفع الحدث، وإفراد القدم، وهجران الأخوان، ومفارقة الأوطان، ونسيان ما علم وما جهل.

قلت: والمعنى الذي تضمحل فيه الرسوم هو ظهور أسرار الذات، فإذا وقع الكشف عنها بغيبة حس الكائنات التي هي أواني لتلك المعاني انفرد الحق بالوجود، ويكون فيما لم يزل كما كان في الأزل، كان الله ولا شيء معه وهو الآن كما كان، فيرتفع الحدث وينفرد القدم، ويهجر صاحب هذا الذوق جميع الأخوان إلا من يستعين بهم على ربه، ويفارق الأوطان في طلب الحق، لأن الهجرة سنة، وينسى ما علم وما جهل أي: يغيب عنه في جنب الكنز الذي ظفر به.

وسئل أيضاً رضي الله عنه عن التوحيد فقال: لون الماء لون إنائه، ومعنى كلامه رضي الله عنه إن الذات العلية كانت لطيفة خفية نورانية، فلما تجلت بالرسوم والأشكال تلونت بتلونها، فافهم وسلم إن لم تذق.

ومقامات التوحيد غير متناهية لأنها تتزايد بتزايد الكشف

= برقم (٣٢٩٤)؛ ومسلم برقم (٢٧٥٦).

والترقي فوق التوحيد.

التفريد[1]:

فإنه أرق من التوحيد وأعلى لأن التوحيد يصدق على توحيد أهل العلم والتفريد خاص بأهل الذوق وفوق التفريد.

الأحدية والإيحاد والفردانية والوحدانية والانفراد[2]:

وهكذا رتبتهم في القوة، فالأحدية مبالغة في الوحدة، والإيحاد مصدر أوحد الشيء إذا صار واحداً، والفردانية والوحدانية والانفراد معناها إفراد الحق بالوجود ولا يكون إلا بعد انطباق بحر الأحدية على الكل بحيث لم يبق وجود لغيره قط، وهو يذوق ذلك ذوقاً ويغرق فيه غرقاً، ويقال لأهل هذا المقام الأفراد والآحاد وهم أكمل من القطب في العلم بالله كما قال الحاتمي[3] وخارجون عن دائرة تصرفه، والله تعالى أعلم.

---

(١) التفريد: مرحلة يصلها السالك بعد التجريد، فإذا جرد السالك عن قلبه وسره الكون والسوى، فقد أفرد الواحد.

(٢) قال ابن عربي في الفتوحات، (١٩/٢): ومنهم من رضي الله عنهم الأفراد لا عدد يحصرهم وهم مقربون بلسان الشرع... وهم رجال خارجون عن دائرة القطب.
وقال في موضع آخر (٢/ ٦٧٥): فجلال الله في قلوب الأفراد على مثل ذلك، فلا يشهدون سوى الحق، وهم خارجون عن حكم القطب الذي هو الإمام وهو واحد منهم.

(٣) هو الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي، الشيخ الأكبر، كان أسلافه بمدينة سبتة، وولد بمرسية في الأندلس في سنة ٥٦٠ هـ، قرأ القرآن بالسبع على جماعة وأخذ الحديث عن الحافظ عبد الحق =

حقيقة الذات العلية:

هي ذات كلية أزلية لطيفة خفية متجلية بالرسوم والأشكال متصفة بصفات الكمال واحدة في الأزل وفيما لا يزال، هذا رسمها بالخواص، وأما كنه الحقيقة فلا يحيط بها إلا هو تعالى.

العمـا[1]:

وهو عبارة عن صفة الذات العلية في الأزل قبل التجلي، وحقيقته، فضاء لطيف خفي صافي لا يُدرك. لا حدّ لفوقيته ولا لتحتيته ولا لجوانبه الأربع ولا نهاية لأوليته ولا لآخريته، خال عن الرسوم والأشكال، متصف بأوصاف الكمال من القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، ويجمعه قول ابن الفارض[2] في خمريته:

= الإشبيلي، وغيره كما أجازه ابن الجوزي وابن عساكر. صحب الصوفية وعاشر العباد والمنقطعين وكان كثير الأسفار والجولان واستقر فيه الرحل بدمشق وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل سنة ٦٣٨ هـ (الطبقات الكبرى، ١/١٨٨)؛ (المطرب مشاهير أولياء المغرب، ١١٥).

(١) قال القاشاني في اصطلاحات الصوفية (ص ١٣١): العماء هو الحضرة الأحدية عندنا لأنه لا يعرفه أحد غيره فهو في حجاب الجلال.

(٢) هو عمر بن علي بن مرشد، الأديب البليغ أبو القاسم الحموي الأصل المصري المولد والدار ابن الشيخ أبي الحسن الفارض سيد شعراء عصره، ولد سنة ٥٧٦ هـ سمع من ابن عساكر شيئاً قليلاً وكان قد جمع في شعره بين الجزالة والحلاوة. وله ديوان شعر، ومن أشهر قصائده التائية، جاور بمكة زماناً، توفي بمصر سنة ٦٣٢ (البداية والنهاية، ١٣م١٤٣)؛ (تاريخ الإسلام، ٩/٤٨٨).

يقولون لي صفها فأنت بوصفها خبير أجلٌ عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها قديماً ولا شكل هناك ولا رسم

ثم تجلت بالرسوم والأشكال بحيث صار اللطيف كثيفاً، والخفي ظاهراً، والغيب شهادة، فما كان في الأزل هو عين ما تجلى به في الأبد كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان.

وفي حديث الترمذي[١] عن أبي رزين العقيلي[٢]: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه، قال: «كان في عما ما فوقه هواء وما تحته هواء»[٣] أي كان في خفاء ولطافة ليس فوقه هواء ولا تحته هواء، بل عظمة ذاته أحاطت بكل فوق وبكل تحت وبكل هواء.

وقيل لسيدنا علي كرم الله وجهه[٤]: يا ابن عم رسول الله

---

(١) الإمام الحافظ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الضرير، سمع قتيبة بن سعيد وإبراهيم بن عبد الله الهروي وغيرهم، وتفقه في الحديث بالإمام البخاري، وكان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر، وكان يُضرب به المثل في الحفظ، بكى حتى عمي وبقي ضريراً. صنف الجامع في السنن، مات سنة ٢٧٩ هـ، (تذكرة الحفاظ، ٢/ ٦٣٥)؛ (تهذيب التهذيب، ٩/ ٣٤٤).

(٢) هو لقيط بن عامر وافد بني المنفتق، روى عن النبي ﷺ وعنه ابنه عاصم ابن أخيه وكيع ابن عدس (الاستيعاب، ١/ ٤٧٧)؛ (الإصابة، ٥/ ٥٩١).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٣١٠٩)؛ وابن ماجه برقم (٢٨١)؛ قال الترمذي: حديث حسن.

(٤) علي بن أبي طالب ﷺ، أبو الحسن الهاشمي، ولد قبل البعثة بعشر =

أين كان ربنا أو هل له مكان فتغير وجهه وسكت ساعة، ثم قال: قولكم أين الله سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان ثم خلق الزمان والمكان وهو الآن كما كان دون زمان ولا مكان. أي: كان الله ولا شيء معه وهو الآن لا شيء معه، فافهم.

الفناء والبقاء[1]:

إذا أطلق الفناء إنما ينصرف للفناء في الذات، وحقيقته، محو الرسوم والأشكال بشهود الكبير المتعال أو استهلاك الحس في ظهور المعنى.

وقال أبو المواهب[2]: محو واضمحلال وذهاب عنك وزوال.

= سنين، وتربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وزوجه ابنته فاطمة رضي الله عنها وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة تبوك كان أمير علي المدينة، ومناقبه كثيرة، روى عنه كثير من الصحابة والتابعين. استشهد سنة ٤٠ هـ (الإصابة، ٤/ ٥١٤)؛ (الطبقات الكبرى، ٦/ ١٢).

(١) قال في منازل السائرين (ص ٢٦٠): اعلم أن الفنى في اللغة: هو الهلاك، والتلاشي، وفي اصطلاح الصوفية، هو الغيبة والاستهلاك في شهود الحق.
قال القشيري: أشار قوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف الذميمة، وأشاروا بالبقاء إلى بروز الأوصاف المحمودة. من ترك أفعاله الذميمة بلسان الشريعة فإنه فني من شهواته، فإذا فني عن شهواته بقي بنيته وإخلاصه في عبوديته، ومن زهد في دنياه بقلبه فقد فني في رغبته، فإذا فني في رغبته بقي بصدق إنابته.

(٢) أبو المواهب: هو محمد أبو المواهب الشاذلي، كان من العلماء الراسخين، صحب أبو الوفاء، عمل الموشحات، كان مقيماً بالقرب =

وقال أبو سعيد بن الأعرابي[1]: هو أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسيه الدنياوالآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار يفنيه عن كل شيء، وعن عقله، وعن نفسه، وفنائه عن الأشياء، وعن فنائه عن الفناء، لأنه يغرق في التعظيم، أي: تتجلى له عظمة الذات فتفنيه عن رؤية الأشياء ومن جملتها نفسه فيصير عين العين ويغرق في بحر الأحدية، وقد يطلق الفناء على الفناء في الأفعال فلا يرى فاعلاً إلا الله، وعلى الفناء في الصفات فلا قدير ولا سميع ولا بصير إلا الله[2] يعني: أنه يرى الخلق موتى لا قدرة لهم ولا سمع ولا بصر إلا بالله وبعد هذا يقع الفناء في الذات وفي ذلك يقول الشاعر:

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين البقاء

وأما البقاء[3] فهو الرجوع إلى شهود الأثر بعد الغيبة عنه

= من الجامع الأزهر وكان له خلوة فوق سطحه وكانت موشحاته تنشد في الموالد والأفراح وعلى رؤوس العلماء، له كتاب القانون في علوم الطائفة. (الطبقات الكبرى، ٢/ ٦٧).

(١) أبو سعيد الأعرابي: هو أحمد بن محمد، بصري الأهل، سكن مكة، وكان في وقته شيخ الحرم، صحب الجنيد والنوري، وعمر والمكي وكان من كبار المشايخ لهذه الطائفة. صنف: المعجم في الحديث، وكتاب رؤية الله تبارك وتعالى. توفي سنة ٣٤١ هـ. (حلية الأولياء، ١٠/ ٣٧٥)؛ (تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٥٢).

(٢) قال في إيقاظ الهمم (ص ٢٤٠): الفناء هو أن تبدو لك العظمة فتنسيك كل شيء، وتغيبك عن كل شيء سوى الواحد الذي ليس كمثله شيء، وليس معه شيء... ومن فني به وانجذب إلى حضرته غاب من شهود نوره عن كل شيء ولم يثبت مع الله شيئاً.

(٣) قال في إيقاظ الهمم (ص ٢٤٠): إذ البقاء هو شهود الخلق بحق، =

أو شهود الحس بعد الغيبة عنه بشهود المعنى لكنه يراه قائماً بالله ونوراً من أنوار تجلياته[1] إذ لولا الحس ما ظهرت المعنى ولولا الواسطة ما عرف الموسوط.

فالحق تعالى تجلى بين الضدين بين الحس والمعنى، وبين القدرة والحكمة، وبين الفرق والجمع فالغيبة عن أحد الضدين فناء ورؤيتهما معاً بقاء.

فالغيبة عن الحس وعن الحكمة وعن الفرق فناء وملاحظتهما معاً بقاء فالبقاء اتساع في الفناء بحيث لا يحجبه جمعه عن فرقه ولا فناؤه عن بقائه، ولا شهود القدرة عن الحكمة، بل يعطى كل ذي حق حقه، ويوفى كل ذي قسط قسطه، وقد يطلق الفناء على التخلي والتحلي، فيقال فني عن أوصافه المذمومة وبقي بالأوصاف المحمودة، والله تعالى أعلم[2].

القدرة والحكمة[3]:

القدرة عبارة عن إظهار الأشياء على وفق الإرادة،

= كما قال القشيري (الرسالة، ص ٦٧): بروز الأوصاف المحمودة.

(١) قال في منازل السائرين (ص ٢٠٦١): البقاء مرتب محل الفناء بأقسامه فمن فني عن فعل نفسه، وفعل غيره بقي بفعل ربه وذات غيره بقي بشهود ذات ربه.

(٢) قال في منازل السائرين (ص ٢٦١): الفناء الغالب فيه السكر والدهشة، فربما ينكر الحكمة لشهود القدرة، فإذا صحى من سكرته أثبت الحكمة في محلها، والقدرة في محلها، فيعطي كل ذي حق حقه، فيعطي العبودية حقها، والربوبية حقها.

(٣) **الحكمة في اللغة**: الرأي السديد الذي يسلك بصاحبه المسلك =

والحكمة عبارة عن تسترها بوجود الأسباب والعلل، فالقدرة تبرز والحكمة تستر، والقدرة لا تنفك عن الحكمة إلا نادراً في معجزة أو كرامة أو شعوذة، وقد تطلق القدرة على الذات بعد تجليها من إطلاق الصفة على الموصوف والحكمة ما يسترها من الحس وأوصاف البشرية وأحكام العبودية فظهوره تعالى بمقتضى اسمه الظاهر يسمى قدرة وبطونه في ظهوره بمقتضى اسمه الباطن يسمى حكمة.

فتجليه تعالى من عالم الغيب إلى عالم الشهادة قدرة وخفاءه في ظهوره حكمة وإليه يشير قول الحِكَم: سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية.

الفرق والجمع[1]:

الفرق عبارة عن شهود حس الكائنات والقيام بأحكامه

= الصائب، والحكمة هي معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به، وهي التكاليف الشرعية، والحكمة المنطوق بها هي علوم الشريعة والطريقة والحكمة المسكوت عنها هي أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها علماء الرسوم والعوام على ما ينبغي فتضرهم أو تهلكهم معرفتها. (المعجم الشامل، ص ٣١٤).

والقدرة صفة تؤثر على قوة الإرادة، وهي الصفة التي تمكن الحي من الفعل أو تركه بالإرادة، والقدرة إمكان إيجاد الفعل. (المعجم الشامل، ص ٦٤٣).

(١) قال الشيخ زروق في قواعد الصوفية (ص ١٢٧): العبادات كلها جمع ونور، والمعاصي والمكروهات المتفق عليها تفريق وظلمة والشبهة بينهما أن تجاد بها أهل الندب والمنع لا أهل الإباحة والتحريم، لكون =

وآدابه من العبادة والعبودية. والجمع عبارة عن شهود المعنى القائم بالأشياء متصلاً بالبحر المحيط الجبروتي، أو تقول الفرق شهود القوالب، والجمع شهود المظاهر، فالقوالب محل الشرائع والمظاهر عين الحقائق.

وقال أبو علي الدقاق: ما الفرق ما نسب إليك والجمع ما سلب عنك. فالفرق بلا جمع فسوق وجمود وجهل بالله تعالى، والجمع بلا فرق زندقة وكفر إن لم يكن سكر لأنه يؤدي إلى إبطال الشرائع التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وإلى إبطال الحكمة.

والقدرة لا تنفك عن الحكمة. فالواجب أن يكون العبد مجموعاً في فرقه مفروقاً في جمعه، الجمع في الباطن موجود والفرق على الظاهر مشهود.

الحس والمعنى:

الحس عبارة عن تكثيف الأشياء ظاهراً والمعنى عبارة عن تلطيفها باطناً فحس الكائنات أوان حاملة للمعاني[1].

= الإباحة للتوسعة، قال ابن عجيبة في تائيته:

فجمعك باطناً يكون مواصلاً وفرقك ظاهراً لتحقيق نسبة

والجمع: الغيبة عن الأكوان في شهود المكون.

(١) الحس ويقصد به العين: ما له قيام بذاته، جوهراً كان أو جسماً وقد يراد به حقيقة الشيء المدركة بالعيان، أما ما يقوم مقام العيان، ويقابله المعنى بمعنى لا تدركه إحدى الحواس كالصداقة والعداوة (المعجم الشامل، ص ٥٧٣).

قال الششتري رضي الله عنه[1]: لا تنظر إلى الأواني، وخض بحر المعاني، لعلك تراني.

فمثال الكون كالثلجة ظاهرها ثلج، وباطنها ماء كذلك الكون ظاهره حس وباطنه معنى، والمعنى هي أسرار الذات اللطيفة القائمة بالأشياء فقد سرت المعاني في الأواني سريان الماء في الثلجة.

وفي ذلك يقول قطب الأقطاب الشيخ الجيلاني رضي الله عنه[2]:

وما الكون في التمثال إلا كثلجة
وأنت لها الماء الذي هو نابع
فما الثلج في تحقيقنا غير مائه
وغيران في حكم دعته الشرائع

فلا قيام للحس إلا بالمعنى ولا ظهور للمعنى إلا بالحس،

---

(١) الصوفي الشهير أبو الحسن علي الششتري، وهو علي بن عبدا لله النميري كان مجوداً للقرآن قائماً عليه من أهل العلم جال الآفاق ولقي المشايخ وحج البيت عدة مرات، له نظم طريقة القوم. خدم ابن سبعين وتلمذ له، له رحلات عدة إلى مصر والشام وكان يتبعه في أسفاره المئات، له مؤلفات عدة منها: العروة الوثقى، المقاليد الوجودية. توفي سنة ٦٦٨ هـ. (نفح الطيب، ٢/ ١٨٥)؛ (المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص ١٣٣).

(٢) هو عبد القادر بن موسى الحسني أبو محمد محيي الدين مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان وانتقل إلى بغداد شاباً سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، برع في أساليب الوعظ وتفقه واشتهر، تصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ وتوفي بها سنة ٥٦١ هـ، (النجوم الزاهرة، ٥/ ٣٧١)؛ (الطبقات الكبرى، ١/ ٢٨٩).

فالمعنى رقيق لطيف لا يدرك إلا بتحسسه في قوالب الكائنات فظهور المعنى بلا حس محال وشهود الحس بلا معنى جهل وظلمة.

ولذلك قال في الحِكَم: وإنما أناره ظهور الحق، فلا يرى الحق تعالى إلا بواسطة التجليات في هذه الدار وفي تلك الدار، وفي ذلك يقول بعضهم:

وليست تنال الذات من غير مظهر
ولو هتك الإنسان من شدة الحرص

الملك والملكوت والجبروت[1]:

الملك، ما ظهر من حس الكائنات. والملكوت[2] ما بطن فيها من أسرار المعاني. والجبروت، البحر المحيط الذي تدفق منه الحس والمعنى.

والحاصل، إن القبضة التي ظهرت أولاً من فضاء العماء حسها الظاهر ملك، ومعناها الباطن ملكوت. والبحر اللطيف الذي تدفقت منه جبروت.

فأسرار المعاني رياض العارفين، لأنها محل نزهة أرواحهم، ولا شك أن المعاني لطيفة لا تظهر بهجتها إلا في

---

(١) قال في إيقاظ الهمم (ص ٢٣٢): الملك ما يدرك بالحس والوهم، والملكوت: ما يدرك بالعلم والفهم، والجبروت: ما يدرك بالبصيرة.

(٢) فمن وقف مع الكون كان في حقه ملكاً، ومن نفذ إلى شهود النور الفائض من الجبروت، إلا أنه رآه كثيفاً نورانياً، ولم يضمه إلى أهله في اللطافة سمي في حقه ملكوتاً، ومن ضمه إلى أصله ولم يفرق بين النور الكثيف سُمي جبروتاً. (إيقاظ الهمم، ص ٣٣٧).

الحس الذي هو الملك، والحس من حيث هو مضاف إلى نبينا عليه الصلاة والسلام، لأنه ما ظهر الإله وما انشقت أسرار الذات إلا من نوره، فلذلك قال القطب بن مشيش رضي الله عنه[1]: فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، أي محسنة معجبة، فقد ذكر الملك بالالتزام لأن جمال زهر المعاني لا يظهر إلا في حس الكائنات، وهو الملك، وقوله: وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة.

الأصل أن يقول: وبحر الجبروت بفيض نوره متدفق يشير إلى ظهور القبضة المحمدية من بحر نوره اللطيف، وإنما عبر بالحياض ليناسب الرياض، وإنما جمع نور القبضة لتفرعه إلى أنوار كثيرة كما جمع العالمين مع أن العالم واحد لتعدد أنواعه، والله تعالى أعلم.

فحقيقة الملك ما يدرك بالحس والوهم، وحقيقة الملكوت ما يدرك بالعلم والذوق، وحقيقة الجبروت ما يدرك بالكشف والوجدان، فالوجود واحد، وإنما تختلف النسبة باعتبار الرؤية والترقية.

فمن وقف مع حس الكائنات وحجب بها عن المعنى سُمي في حقه ملكاً، ومن نفذ إلى شهود المعاني سُمي في حقه

---

(١) هو أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر الحسني، القطب الشهير والعارف الكبير، إمام أئمة الطريقة الشاذلية، ولد في المغرب سنة ٥٥٩ هـ، حفظ القرآن صغيراً، أخذ الطريقة الشاذلية عن الزيات وأخذ عنه الشيخ أبو الحسن الشاذلي. توفي رضي الله عنه شهيداً سنة ٦٢٢ هـ. (سلوة الأنفاس، محمد بن جعفر الكتاني، ١/٥)؛ (لطائف المنن، ١/٩٢).

ملكوتاً، ومن نظر إلى أصل القبضة التي برزت منه سماه جبروتاً، فإن ضم الفروع إلى الأصول وتلطفت الأواني حتى صارت كلها معاني وانطبق بحر الأحدية على الكل، صار الجميع جبروتاً فكل مقام يحجب عن ما قبله، فالملكوت يحجب عن شهود الملك، والجبروت يحجب عن الملكوت إلا بالتنزل في حال السلوك، والله تعالى أعلم.

الناسوت واللاهوت والرحموت[1]:

الناسوت، عبارة عن حس الأواني، واللاهوت، عبارة عن أسرار المعاني، ومرجع الأول للملك، والثاني للملكوت، والرحموت، عبارة عن سريان اللطف والرحمة في جميع الأشياء جلالها وجمالها، من ظن انفكاك لطف الله عن قدره فذلك لقصور نظره.

التواجد والوجد والوجدان والوجود:

التواجد[2] تكلف الوجد واستعماله، كاستعمال الرقص والشطح والقيام وغير ذلك، وهو غير مسلم إلا للفقراء المتجردين، فلا بأس بتكلف الوجد واستعماله، كما يطلب

---

(١) **الناسوت**: المخلوق في مقابل اللاهوت وهو الخالق، ويطلق اللاهوت على العالم العلوي، أو الآخرة، وقد يطلق اللاهوت على الروح. والناسوت على البدن.

(٢) **التواجد**: استدعاء الوجد بنوع من الاختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد، إذ لو كان كذلك لكان واجداً. وباب التفاعل أكثره على إظهار الصفة. (الرسالة القشيرية، ص ٦٢).

الحال دواء للنفوس، وهو مقام الضعفاء، وقد تستعمله الأقوياء مساعفة أو حلاوة.

قيل لأبي محمد الجريري[1] ما حالك في السماع، فقال: إذا حضر هناك محتشم أمسكت وجدي وإذا خلوت أرسلت وجدي فتواجدت[2]. وأما الجنيد، فكان أولاً يتواجد، ثم سكن، فقيل له يا سيدي أما لك في السماع شيء، فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل، ٨٨][3]. قلت: وقد حضرت سماعاً مع شيخنا البوزيدي رضي الله عنه[4] فكان يتمايل يميناً وشمالاً، وحدثني من حضر سماعاً مع شيخه مولاي العربي الدرقاوي[5] فقال: ما زال قائماً يرقص حتى كمل السماع، ولا ينكر السماع إلا جاهل خالٍ من أسرار الحقيقة. وأما الوجد[6] فهو الذي يرد على القلب ويصادمه بلا

---

(١) أبو محمد الجريري، أحمد بن محمد الجريري: من كبار أصحاب = الجنيد وصحب سهل ابن عبد الله التستري وهو من علماء القوم أقعد بعد الجنيد في موضعه لتمام حاله وصحة طريقته وغزارة علمه، قال أحمد بن عطاء الروذباري؛ مات الجريري سنة الهبير فجزت بقبره بعد سنة من موته فإذا هو مسند جالس وركبته إلى صدره، وهو مشير إلى الله بإصبعه. مات سنة ٣١١ هـ (حلية الأولياء، ١٠/ ٣٤٧)؛ المنتظم ٦/ ١٧٤).

(٢) الرسالة، ص ٦٢.

(٣) الرسالة، ص ٦٢.

(٤) سبقت ترجمته في المقدمة.

(٥) سبقت ترجمته في المقدمة.

(٦) وهو ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد وتكلف، ولهذا قال المشايخ: الوجد هو المصادفة، والمواجيد ثمرات الأوراد، فكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله تعالى لطائفه. (الرسالة، ص ٦٢).

تأمل ولا تكلف، إما شوق مقلق، وإما خوف مزعج وهو بعد التواجد.

ويقال: التواجد ثمرات المنازلة في أسرار الحقائق كما أن حلاوة الطاعات ثمرات المنازلة في الطاعة الظاهرة.

فكلما اشتد التحقيق بأسرار الحقائق والتوحيد قوي الوجد، كما أنه كلما اشتد الدوام على الطاعة قويت حلاوتها.

وأما الوجدان، فهو دوام حلاوة الشهود واتصالها مع غلبة السكر والدهش، فإن استمر مع ذلك حتى زالت الدهشة والحيرة وصفت الفكرة والنظرة فهو الوجود، وإليه يشير قول الجنيد رضي الله عنه:

وجودي أن أغيب عن الوجود   بما يبدو علي من الشهود[1]

وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه التواجد يوجب استيعاب العبد والوجد يوجب استغراق العبد، والوجود يوجب استهلاك العبد، فهو كمن شهد البحر ثم ركب ثم غرق. وقال القشيري: وترتيب هذا الأمر قصود، ثم ورود، ثم شهود، ثم وجود، ثم خمود[2].

فالقصود للمتواجدين القاصدين الوجد، والورود للواجدين الشاربين الخمرة، والشهود لأهل الوجدان السكارى، والوجود والخمود لأهل الصحو، والله تعالى أعلم.

---

(١) الرسالة القشيرية، ص ٢٩.
(٢) الرسالة، ص ٦٣.

الذوق والشرب والسكر والصحو:

الذوق يكون بعد العلم بالحقيقة، وهو عبارة عن بروق أنوار الذات القديمة على العقل فيغيب عن رؤية الحدوث في أنوار القدم، لكنه لا يدوم ذلك، بل يلمع تارة ويخفي أخرى فصاحبه يدخل ويخرج فإذا لمع غاب عن حسه، وإذا خفي رجع إلى حسه، ورؤية نفسه فهذا يسمى عندهم ذوقاً[1]، فإن دام له ذلك النور ساعة أو ساعتين فهو الشرب، وإن اتصل ودام فهو السكر[2] ومرجعه إلى فناء الرسوم في شهود الحي القيوم والغيبة عن الأثر في شهود المؤثر ويُسمى أيضاً الفناء، فإن رجع إلى شهود الأثر وقيامها بالله، وأنها نور من أنوار الله

---

(١) الذوق في الأصل يعرف في الطعم ثم كثر حتى جعل عبارة عن كل تجربة، والذوق أيضاً قوة إدراكية تختص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية بحيث لا ينفع إعمال العقل إلا قليلاً. والذوق عند الصوفية، عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره. (المعجم الشامل، ص ٣٧٠). قال القشيري في الرسالة (ص ٧٢): ومن جملة ما يجري من كلام الصوفية الذوق والشرب، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ونتائج الكشوف، وبواده الواردات وأول ذلك الذوق، ثم الشرب ثم الارتواء.

قال السهروردي في عوارف المعارف (ص ٣٣٣): الذوق إيمان والشرب علم والري حال، فالذوق لأرباب البواده، والشرب لأرباب الطوالع واللوائح واللوامع، والري لأرباب الأحوال وذلك أن الأحوال هي التي تستقر، فما لا يستقر فليس بحال وإنما هو لوامع وطوالع.

(٢) والسكر غيبة بوارد قوي، والسكر زيادة على الغيبة من وجه وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن مستوفياً في سكره، (الرسالة القشيرية، ص ٧١).

فهو الصحو[1] ويسمى أيضاً بالري، وبالبقاء لإبقاء الأشياء بالله بعد فنائها ويسمى أيضاً فناء الفناء لأنه علم أنه لك يكن ثمَّ شيء يفنيه غير الوهم والجهل وهما لا حقيقة لهما.

قال القشيري[2]: واعلم أن الصحو على قدر السكر فكل من كان سكره بحق كان صحوه بحق، ومن كان سكره بحظ مشوباً كان صحوه بحظ مصحوباً، ومن كان محقاً في حاله كان محفوظاً في سكره، ثم قال: فمن قوي حبه تسرمد شربه[3]، ولله در القائل:

---

(١) الصحو: هو الرجوع إلى الإحساس بعد الغيبة.

(٢) وهو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، النيسابوري، الشافعي، الجامع بين الشريعة والحقيقة، ولد سنة ٣٧٦ هـ، نشأ يتيماً وطلب العلم في نيسابور وبها تعرف على الأستاذ أبي علي الدقاق، وحج برفقة أبي المعالي الجويني، وأبو بكر البيهقي، . من تلاميذه: الخطيب البغدادي، من أهم مؤلفاته: لطائف الإشارات، والرسالة القشيرية وغيرها. توفي سنة ٤٦٥ هـ (طبقات الشافعية الكبرى، ٢/٢٤٣)؛ (الخطيب البغدادي، ٢/٨٣). انظر: الرسالة القشيرية، ص ٧٢.

(٣) والعبد في حالة سكره يشاهد الحال، وفي حالة صحوه يشاهد العلم إلا أنه في سكره محفوظ لا بتكلفه، وفي صحوه متحفظ بتصرفه، والصحو والسكر بعد الذوق والشرب، (الرسالة القشيرية، ص ٧٢).

قال المصنف في خمريته:

أحن إلى خان الحمية لنشوة
تطيش لها الألباب في حال سكره
أهيم بها وجداً وأفنى عطشاً
فإن جاءنا صحو شربنا بسرعة
أقيم بها دهري مديماً على سكري
مصراً على شرب الحميا السنية

شربت الحب كأساً بعد كأس   فما نفد الشراب ولا رويت

المحو والإثبات[1]:

المحو، الغيبة عن الكائنات فناء والإثبات إثباتها ....

بقاء[2] ويطلق على محو الأوصاف الذميمة، وإثبات الأوصاف الحميدة[3].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد، ٣٩] وبها أشار الإمام القشيري إلى هاتين الصفتين.

(٢) المحو: رفع أوصاف العادة والإثبات إقامة العبادة، (الرسالة، ص ٧٣).

قال ابن عجيبة في تفسيره «البحر المديد» (٣/ ٣٧): من جملة ما يقع فيه المحو والإثبات الواردات الإلهية التي ترد على القلوب من تجليات الغيوب، فإن القلب إذا تطهر من الأكدار، وصفا من الأغيار، كان كل ما يتجلى فيه من الغيوب فهو حق، إلا أنه ينسخ بعضها بعضاً، فقد يخبر الولي بأمر يكون أو لا يكون على حسب ما تجلى في قلبه، ثم يمحو الله ذلك، ويثبت في قلبه خلافه، أو يظهر في الوجود خلاف ما أخبر، وليس بكذب في حقه، ولكن الحق تعالى يظهر لخلقه أموراً من مقدوراته متوقفاً وجودها على أسباب وشروط أخفاها الحق تعالى عن خلقه، ليظهر عجزهم عن إحاطة علمه.

(٣) أما حقيقة المحو والإثبات فصادران عن القدرة، فالمحو ما ستره الحق ونفاه، والإثبات ما أظهره الحق وأبداه، والمحو والإثبات مقصوران على المشيئة. قيل: يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى ويثبت على ألسنة المريدين ذكر الله تعالى، ومحو الحق لكل أحد، وإثباته على ما يليق بحاله. قال أبو علي الدقاق: قال بعض المشايخ ماذا تمحو وماذا تثبت؟ فسكت الرجل، فقال: أما علمت أن الوقت محو وإثبات، إن من لا محو له ولا إثبات فهو معطل مهمل، (الرسالة، ص ٧٣).

وهي ثلاث: محو الزلة عن الظواهر، ومحو الغفلة عن الضمائر، ومحو العلة عن السرائر، ففي محو الزلة إثبات التوبة، وفي محو الغفلة إثبات اليقظة، وفي محو العلة إثبات الصفاء[1].

الستر والتجلي[2]:

الستر عندهم عبارة عن غيبة العبد عن ربه ترويحاً وتنزلاً وشغلاً بشأن من الشؤون، والتجلي عبارة عن كشف العبد بعظمة ربه، وهذا قبل الرسوخ، وأما بعد الرسوخ فلا غيبة له.

فالعوام في غطاء الستر على الدوام، والخواص بين كشف وغطاء، وخواص الخواص في دوام التجلي، فالستر للعوام عقوبة[3] وللخواص رحمة إذ لولا أنهم يستر عنهم في بعض الأحيان لتلاشوا عند سلطان الحقيقة، ولكنه كما يظهر لهم

---

(١) قال في إيقاظ الهمم (ص ٢٠٣): الستر هو الحفظ والتغطية وهو = في الحس من الآفات والبليات التي توجب هلاكه، وفي المعنى من الفضيحة والمقت وسقوط المرتبة. قال ابن عربي: (الفتوحات المكية، ٢/ ٣٠٤). التجلي للأشياء فهو تجلي يفني أحوالاً ويعطي أحوالاً في المتجلي له.

(٢) العامة يطلبون الستر من الله فيها مع وقوعها لئلا يسقطوا من عين الخلق فهم يستخفون من الناس، ولا يستخفون من الله، فمحط نظرهم إنما هو شهود الخلق غائبين عن نظر الملك الحق وذلك لضعف إيمانهم وقلة يقينهم وانطماس بصيرتهم، (إيقاظ الهمم، ص ٢٠٣).

(٣) أما الخاصة فهم يطلبون من الله الستر عنها، والعصمة منها خشية أن يسقطوا من عين الحق لأن صدور المعصية من العبد سوء أدب ومن أساء الأدب مع الأحباب طرد إلى الباب، فإذا وقعت منهم معصية =

يستر عنهم فالخواص بين عيش وطيش إذا تجلى لهم طاشوا، وإذا ستر عنهم ردوا إليهم فعاشوا.

المحاضرة والمكاشفة والمسامرة:

المحاضرة حضور القلب مع الرب، ويكون من وراء الحجاب، إما بتواتر البرهان أو بفكرة الاعتبار، أو باستيلاء سلطان الذكر على القلب.

ثم بعده المكاشفة[1]، وهي حضور القلب مع الرب بنعت

= بادروا إلى الاعتذار وصحبهم الخجل والانكسار، ثم جدوا في سيرهم، ولم يقفوا في نفوسهم إذ لا وجود لها في نظرهم ولا التفات لهم إلى الخلق إذا لم يبق في نظرهم إلا الملك الحق غابوا بشهود الحق عن رؤية الخلق.

أما خاصة الخاصة، فلا يطلبون شيئاً ولا يخافون من شيء صارت الأشياء عندهم شيئاً واحداً، واستغنوا بشهود عن كل واحد، فهم ينظرون ما يبرز من عنصر القدرة، فيتلقونه بالقبول والرضا، (إيقاظ الهمم، ص ٢٠٤).

ويقول القائل:

يظنون بي خيراً وما بي من خير ... ولكنني عبد ظلوم كما تدري
سترْتَ عيوبي كلها عن عيوبهم ... وألبستني ثوباً جميلاً من الستر
فصاروا يحبونني وما أنا بالذي ... يحب ولكن شبهوني بالغير
فلا تفضحني في القيامة بينهم ... وكن لي يا مولاي في موقف الحشر

(١) قال ابن عجيبة في منازل السائرين (ص ٢٤٨): المشاهدة، وهي كما قال شيخنا: شهود العظمة بالعظمة، أي بحيث يفنى من لم يزل، فما شاهده أحد سواه، ولا عرف الله إلا الله، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام، ١٠٣] أي الحادثة. إنما تدركه الأبصار القديمة.

وقال في إيقاظ الهمم (ص، ٣٥١): المشاهدة هي كشف حجاب الحس عن نور القدس، أو تقول كشف رداء الصون عن الكون، فأنت تشاهد =

البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل، ويكون أيضاً مع الحجاب بنعت القرب في مقام الحالة المراقبة وهو للعباد والزهاد ونهاية الأسرار، وإما مكاشفة ضمائر الناس فليست بمقصودة عندهم. قد يعطاها من لم يبلغ لهذا المقام.

وبعد المحاضرة والمكاشفة المسامرة[1]، وهي ظهور أسرار الذات، فيغيب العبد عن وجوده ويغرق في بحر الأحدية ساعة أو ساعتين، ثم يرجع إلى شاهده وحسه كمن يستمر في عومه تحت الماء ساعة أو أكثر، ثم يخرج وهي من بداية الوجدان، ولمعان أنوار المشاهدة، ثم بعدها المشاهدة وهي دوام شهود الحق بلا تعب أو وجود الحق بلا تهمة.

وقال الجنيد ﷺ المشاهدة وجود الحق مع فقدانك.

وقد تقدم تفسيرها وإنما أعيدت هنا لترتبها على ما قبلها.

قال القشيري: فصاحب المحاضرة مربوط بآياته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته، وصاحب المشاهدة ملقى بذاته. قلت: وصاحب المسامرة تارة بتارة، ثم قال القشيري: صاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته[2].

= ذاته في عالم ملكوته، وهو يشاهدك في عالم ملكه، أنت تشاهد ربوبيته، وهو يشاهد عبوديتك.

(١) قال ابن عربي في الفتوحات (٣/ ١٣٢): المسامرة خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب نزل به الروح الأمين على قلبك. وهو فرع عن المشاهدة.

(٢) الرسالة القشيرية، ص ٧٥.

وأجمع ما قيل[1] في المشاهدة أنه توالي أنوار التجلي على القلب من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق في الليلة الظلماء فإنها تصير في ضوء النهار وكذلك القلب إذا دام له دوام التجلي فلا ليل وأنشدوا:

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار
الناس في سدف الظلا م ونحن في ضوء النهار

والسدف، بالسين، الظلمة كما في القاموس[2].

وقال النوري[3]: إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح.

وقول الشاعر: ليلي بوجهك... إلخ. أي: ليل وجودي مشرق بوجود ذاتك، فقد ذهبت ظلمة وجودي في نهار وجودك.

اللوائح واللوامع والطوالع:

وهي ألفاظ متقاربة[4]، وهي لأهل البدايات حين تبرق

---

(١) وهو قول عمر بن عثمان المكي، كما في الرسالة القشيرية، ص ٧٥.
(٢) القاموس، ص ١٠٥٨.
(٣) هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، يعرف بابن البغوي، كان من جلة مشايخ القوم، صحب السري السقطي، وكان من أقران الجنيد، كان يخرج يوماً من داره ويحمل معه الخبز يتصدق به في الطريق ويدخل المسجد يصلي فيه إلى قريب الظهر ثم يفتح باب حانوته ويصوم ويبقى في بدايته على هذا عشرين سنة، توفي سنة ٢٩٥ هـ. (حلية الأولياء، ١٠/٢٤٩)؛ (البداية والنهاية، ١١/١٠٦).
(٤) قال القشيري في الرسالة (ص ٧٦): لا يكاد يحصل بينها فرق كبير، وهي من صفات أصحاب البدايات الصاعدين في الترقي بالقلب، =

عليهم أنوار الشهود، ثم تستر فتكون أولاً لوائح، ثم لوامع، ثم طوالع.

فاللوامع أظهر من اللوائح والطوالع أظهر من اللوامع، فقد تبقى اللوامع ساعتين أو ثلاث بخلاف اللوائح، فإنها أخف لزوالها بسرعة كما قال الشاعر:

افترقنا حولاً فلما اجتمعنا　كان تسليمه علي وداعاً

وقال آخر:

يا ذا الذي زار وما زارا　كأنه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلاً　ما ضره لو دخل الدارا

وأما الطوالع فإنها أبقى وقتاً وأقوى سلطاناً وأذهب للظلمة وأنفى للتهمة، لكنها على خطر الأفول لم يتمكن صاحبها من طلوع شمس عرفانه، فأوقات حصولها وشيكة الارتحال، وأحوال أفولها طويلة الأذيال، لكن إذا غربت أنوارها بقيت آثارها فصاحبها إذا غربت أنوارها يعيش في بركات آثارها إلى أن تعود ثانياً هكذا حتى تطلع شمس نهاره بتمكنه فلا مغيب لها حينئذ، كما قال القائل:

طلعت شمس من أحب بليل　واستنارت فما تلاها غروب
إن شمس النهار تغرب ليلاً　وشموس القلوب ليست تغيب

= فلم يدم لهم بعد ذلك ضياء شموس المعارف، لكن الحق سبحانه وتعالى يؤتي رزق قلوبهم في كل حين، كما قال تعالى: ﴿صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم، ٦٢]، وكلما أظلمت عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ سنحت لهم فيها لوائح الكشف وتلألأت لوامع القرب.

البواده والهجوم[1]:

البواده، ما يفاجأ القلب من ناحية الغيب على سبيل البغتة، إما موجب فرح أو ترح، والهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنّع ولا تكسب.

وتختلف أحوالهم على حسب ضعفهم وقوتهم، فمنهم من تغيره البواده وتتصرف فيه الهواجم، ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالاً وقوة لا تغيره الهواجم ولا تتصرف فيه البواده ولا تزعجه الهموم ولا تحركه المخاوف أولئك سادات الوقت كما

---

(١) البواده: وهو ما يدل على ورود شيء بغتة؛، وهجمة الشتاء: شدة البرد، وهو من ذلك القياس لأنها تهجم. وهجمة الصيف: شدة حره. (معجم مقاييس اللغة، مادة «هجم»).
قال القاشاني: (اصطلاحات صوفية، ٣/٣٨): البواده، هو ما يفاجأ القلب من الغيب فيوجب بسطاً أو قبضاً.
قال ابن عربي (الفتوحات المكية، ١/٥٥٧): إن البواده والهجوم... وأمثالها، إنما هي واردات الغيب ترد على القلب، فتؤثر فيها أحوالاً مختلفة فيمن قامت به، ويسمون ذلك الحال بالوارد، وليس للعبد تعمل في تحصيل هذه الواردات، مع أنها ما ترد إلا على قلب مستعد لقبولها، فإذا ورد الوارد (الهجوم) على القلب فجأة من غير تصنع، فيعطيه ذلك الوارد حسرة فوت الوقت، فإنه منبه لمن غفل عن حكم وقته فيه، فلم يتأدب مع وارد وقته، أراد الحق أن ينبهه عناية منه به، فبعث إليه هذا الوارد رسولاً من الله يكشف له عن فوت وقته... فهذه فائدة الهجوم، يجر الوقت الذي فاته... وأما البواده، فهي أيضاً فجأة إلهية، تفجأ القلوب من حضرة الغيب بحكم الوقت... ولما كانت البواده من حضرة الهو لا يعرف متى تأتي، فإذا وردت إنما ترد فجأة وبغتة، فتعطي ما وردت به وتنصرف... إن البواده إذا وردت لا يخطئ حكمها ألبتة ولها الإصابة في كل ما ترد به.

قيل:

لا تهتدي نوب الزمان إليهم
ولهم على الخطب الجليل لجام

وهؤلاء هم أهل الرسوخ والتمكين جعلنا الله منهم آمين.

التلوين والتمكين:

التلوين[1]، هو الانتقال من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، وقد يسقط ويقوم فإذا وصل إلى صريح العرفان وتمكن من الشهود، فصاحب تمكين[2].

فصاحب التلوين أبداً في الزيادة وصاحب التمكين وصل وتمكن فانتهاء سيرهم الظفر بنفوسهم، فإن ظفروا بها فقد وصلوا فانخنست أوصاف البشرية واستولى عليها سلطان الحقيقة، فإذا دام ذلك العبد فهو صاحب تمكين وقد يكون التلوين بعد التمكين.

ومعناه النزول في المقامات كنزول الشمس في بروجها فيتلون العارف مع المقادير ويدور معها حيث دارت ويتلون بتلون الوقت فيكون بين قبض وبسط، وقوة وضعف، ومنع

---

(١) لونته فتلون، ولون كل شيء، ما فصل بينه وبين غيره، واللون النوع، وفلان ملون إذا لا يثبت على خلق واحد (لسان العرب، مادة «لون»).
والتلوين في اصطلاح القوم: هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة (الكمشخانوي، جامع الأصول، ص ١٥٧).

(٢) وهو مقام الاستقامة والثبات على الصراط المستقيم وإنما سموا أرباب التلوين لتلونهم وتبدل صفاتهم البشرية في طلب الصراط المستقيم بخلاف أرباب التمكين فإنهم ثابتون مستقرون على استقامتهم (الكمشخانوبي، جامع الأصول، ص ١٥٧).

وعطاء، وسرور وحزن، وغير ذلك من تقلبات الأحوال غير أنه مالك وغير مملوك لا يتغير بتغير الأحوال ولا يتأثر بالزلازل والأهوال، والله تعالى أعلم.

القرب والبعد:

القرب[1]، كناية عن قرب العبد من ربه بطاعته وتوفيقه[2]، وهو على ثلاث مراتب.

قرب بالطاعة، وترك المخالفة، وقرب بالرياضة والمجاهدة، وقرب بالوصول والمشاهدة.

فقرب الطالبين بالطاعة، وقرب المريدين بالمجاهدة، وقرب الواصلين بالمشاهدة[3].

فأول البعد البعد عن التوفيق، ثم البعد عن سلوك الطريق، ثم البعد عن التحقيق.

وفي الحديث القدسي عن الله ﷻ يقول: «ما تقرب إليَّ

---

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة، ١٨٦].

(٢) قال ابن عجيبة في إيقاظ الهمم (ص ٢٨٩): قربك منه أن تكون مشاهداً لقربه وإلا فمن أين أنت ووجود قربه، فمعنى قربك من الحق أن تكون مشاهداً لقربه منك قرب وجود وإحاطة، وذلك بعد أن تلطفت عوالمك وفنيت دائرة حسك وحينئذ تتحقق قربك منه.

(٣) قال في منازل السائرين (ص ٢٤٩)، فلا يشهد إلا الله، ولا يرجع إلا إلى الله كما أن الغافل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكرة فيما يصلح له من أمر أو ما يستقبله من حال.

المتقربون بمثل أداء ما افترضته عليهم، ولا يزال العبد بتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً»[١] الحديث. وفي حديث آخر «فإذا أحببته كنته»[٢] فقرب العبد من ربه انحياشه إليه بقلبه وقرب الحق من عبده تغييبه عن وجوده الوهمي، وكشف الحجاب عن عين بصيرته حتى يرى الحق أقرب إليه من كل شيء، ثم يغيب القرب في القرب فيتحد القريب والقرب، والمحب والحبيب[٣]، كما قال القائل:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

وكما قال الششتري:

أنا المحب والحبيب ما ثم ثاني[٤]

---

(١) أخرجه البخاري بلفظ «ما تقرب إلي عبدي بشيء أحل إليه مما أفترضت عليه....» برقم (٦١٣٧)؛ وابن حبان في صحيحه (ص/٥٨).

(٢) لم أجده.

(٣) قال الشيخ زروق في شرح الحكم: الثالث قرب المناسبة والمسافة ولا يصح في جناب الربوبية لاستحالة المسافة عليه، ونفي مناسبة العبد للرب. فتقدير الكلام قربك منه على وجه الكرامة أن تكون مشاهداً لقربه منك على وجه الإحاطة وإلا فمن أين أنت ووجود قربه على وجه التناسب والمسافة اهـ.

(٤) ولابن عجيبة خمرية ينكر الحلول والاتحاد، يقول:

تنزهت عن حكم الحلول في وصفها
فليس لها سوى في شكله خُدَّة
تجلت عروساً في كرَاء جمالها
فأرخت ستور الكبرياء لعزة
فما ظهر في الكون غير بهائها
وما احتجبت إلا بحجب سريرة =

الشريعة والطريقة. والحقيقة:

الشريعة تكليف الظواهر[1]، والطريقة تصفية الضمائر[2]، والحقيقة شهود الحق في تجليات المظاهر[3]، فالشريعة أن

= وقال في شرحه: للتصلية المشيشية لدى قوله انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار. . . فما ظهرت أسرار الذات إلا من تلك القبضة النورانية، فظاهرها ذات وباطنها صفات، وبتلك الصفات وقع التكثيف والتصوير، والتمييز والتشكيل والتخيير، وإلى ذلك أشار بقوله: «وانفلقت الأنوار» أي أنوار الصفات، وأنوارها هي آثارها التي ظهرت على ظاهر التجليات من تكثيف وتطيف وتقييد وتخصيص، وتشكيل وتمييز، وإعزاز وإذلال وخفض ورفع أو قبض وبسط، وغير ذلك من اختلاف الآثار وتنقلات الأطوار، فهذه كلها آثار الصفات الأزلية، التي هي القدرة والإرادة والعلم والحياة، والسمع والبصر، والصفات لا تفارق الموصوف لكن لما كانت الصفات لطيفة لا تدرك أظهرت نفسها في المحسوسات والذات عين الصفات، والصفات عين الذات، أي محلها واحد. فحيث تجلت الذات تجلت الصفات، وحيث ظهرت الصفات ظهرت الذات فعبروا عن هذا الكلام بالاتحاد والعين، فأهل الدليل وهم أهل الحجاب لا يشهدون إلا صفات الذات، أي آثارها، وهم محجوبون عن شهود الذات، تحجبهم أنوارها. انظر: رسائل النور الهادي للشيخ عبد السلام العمراني الخالدي (ص ١٣١).

(١) **الشريعة**: عبارة عن الأمر بالتزام العبودية. (تعريفات: ابن عربي ص ١٣).

(٢) **الطريقة**: هي السير بالسيَّر المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات. (اصطلاحات، قاشاني ص ٦٥).

(٣) **الحقيقة**: هي حفظ الله وعصمته والحقيقة أن ترى الله هو المتصرف في خلقه يهدي ويضل ويعز ويذل.

قال الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في الإعلام (ص ٣٦): فتلخص من جميع ما تقدم أن الحقيقة صنو الشريعة بل هي لبها وسرها الخالص، =

تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده فلما تجلى الحق بين الضدين تجلى بمظاهر عظمة الربوبية في قوالب العبودية، ظهرت الشريعة والحقيقة.

فشهود العظمة من حيث هي حقيقة والقيام بآداب القوالب عبادة وعبودية شريعة.

وأما الطريقة فهي إصلاح الضمائر لتتهيأ لإشراق أنوار الحقائق عليها، فالشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمائر، والحقيقة لتزيين السرائر.

ويقال: الشريعة عين الحقيقة من حيث أنها وجبت بأمره، والحقيقة عين الشريعة من حيث أنها مكلف بها من قبل الشريعة، وقد تطلق عندهم الشريعة على كل ما يتوصل به إلى شيء أو يكون سبباً في إدراكه.

فالأسباب كلها شرائع والمقاصد كلها حقائق، فالحس شريعة المعنى إذ به قبضت، والمجاهدة شريعة المشاهدة، والذل شريعة العز، والفقر شريعة الغنى، وهكذا والحرث والغرس شريعة جني الثمار، ولذلك يقولون من غرس الشرائع أثمرت له الحقائق، ومن غرس الحقائق أثمرت له الشرائع أي أخرجته إلى الرجوع إلى الشرائع، وفي ذلك يقول الشاعر:

= وأن ما يثار حولها من اعتراضات قد تصل إلى الكفر أحياناً، مرجعه إلى أمرين: أحدهما: صوغ معانيها في عبارات غامضة غير مألوفة كما أشار إليها الحافظ السيوطي. ثانيهما: تشبه الدخلاء بأهل الحقيقة كما أشار إليه عز الدين بن عبد السلام وجعل هؤلاء شراً من قطاع الطريق.

ثمار ما قد غرست تجني   وهـذه عـادة الـزمـان

الذات. والصفات:

اعلم أن الحق جل جلاله ذات وصفات في الأزل وفي الأبد، أعني قبل التجلي وبعده إذ صفاته قديمة بقدم ذاته، والصفة لا تفارق الموصوف، فحيث تجلت الذات فالصفات لازمة لها كامنة فيها، وحيث ظهرت الصفات فالذات لازمة لها.

فالذات ظاهرة والصفات باطنة، والمراد بالصفات صفات المعاني وسائر أوصاف الكمال فكل ما وقع به التجلي والظهور، فهو بين ذات وصفات الذات لا تفارق الصفات، والصفات لا تفارق الذات.

وهذا التلازم الذي بينهما في الوجود هو الذي قصد من قال الذات عين الصفات أي: مظهرهما واحد.

كما قالوا: الحس عين المعنى اتحد مظهرهما. قال بعض المشارقة في بعض أزجاله:

يـا وارد الـعـيـن   إن حققت زال الشك
الـذات عـين الـصـفـات   ما في الـمـعـاني شك

ولا يصدنك عن شهود الذات رداء الحس المنشور على وجه المعاني، فإن هذا الأمر من مدارك الأذواق والوجدان لا من طريق دليل العقل والبرهان، ولله در ابن الفارض حيث يقول:

فثم وراء النقل علم يدق عن   مدارك غايات العقول السليمة

واعلم إن الذات لا تتجلى إلا في مظاهر أثر الصفات إذ لو تجلت بلا واسطة لاضمحلت المكونات وتلاشت، ولذلك يقولون: تجلي الذات جلالي، وتجلي الصفات جمالي، لأن تجلي الذات بلا واسطة يمحق ويحرق كما في الحديث[1]، وتجلي الصفات يكون بالأثر فيكون معه الشهود والمعرفة فهو جمالي، ثم توسعوا فأطلقوا على كل ما هو جلالي ذات، وعلى كل ما هو جمالي صفات على سبيل التشبيه فقالوا: الفقر ذات، والغنى صفات الذل ذات، والعز صفات الصمت ذات، والكلام صفات، وهكذا وهذا الاصطلاح ذكره شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل العمراني ﷺ[2] في كتابه ولا أدري هل سبق به أم لا.

---

(١) قوله الحديث أخرجه مسلم برقم (٢٩٣) في صحيحه عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور». وفي رواية أبي بكر «حجابه النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، رواه ابن ماجه برقم (١٩٦). وقال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٨٣٣): إن جبريل ﷺ قال: لله دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا». وفي حديث آخر حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره.

(٢) هو سيدي علي الجمل من الشخصيات العظيمة في هذه الأمة أخذ عن مولاي الطيب الوزاني وخدمه مدة ثم بعثه لفاس فلازم العارف العربي بن أحمد الأندلسي ١٦ سنة إلى أن توفي، ثم استقل بنفسه وبنى زاويته بالرميلة فكثرت أتباعه وهو شيخ العربي الدرقاوي، توفي سنة ١١٩٤ هـ ودفن بزاويته. (المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص ٢٠٧).

الأنوار والأسرار

الأنوار[1] عبارة عن ما ظهر من كثائف التجليات، والأسرار[2] عبارة عن ما بطن فيها من المعاني اللطيفة.

فالأسرار أرق من الأنوار، فالأسرار للذات والأنوار للصفات لأنها أثرها فالذات بعد التجلي بين أنوار ظاهرة وأسرار باطنة.

وأما في حال الكنزية فما كان إلا الأسرار، فالجبروت كله أسرار والملكوت أنوار والملك أغيار وأكدار.

فالوجود واحد فمن نظر إلى باطنه لم ير إلا الأسرار، ومن نظر إلى ظاهره بعين الجمع لم ير إلا الأنوار، ومن نظر بعين الفرق لم ير إلا الأغيار جمع غير بالسكون، ومن شغله عن التوجه إلى الله بتشغيبه وأهواله كان في حقه أكدار، وإنما سميت تجليات الحق أنواراً على وجه التشبيه لأن من شأن النور أن يكشف الظلمة ويذهبها[3]، وكذلك تجلي الحق

---

(١) قال في إيقاظ الهمم (ص ١٠٤): النور نكتة تقع في قلب العبد = = من معنى اسم أو صفة يسري معناها في كليته حتى يبصر الحق والباطل إيصاراً لا يمكنه التخلف معه عن موجبه.

(٢) قال في إيقاظ الهمم (ص ١٠٤): الأسرار جمع سر، وهو الحقيقة القابلة للتجليات لسر أدق وأصفى من القلب.

(٣) لما كان النور جند القلب لأنه يكشف عن حقائق الأشياء، فبتميُّز الحق من الباطل يحق الحق ويبطل الباطل، فينتصر القلب بإقباله على الحق على بيِّنة واضحة، وتنهزم النس بانهزام جند ظلماتها إذ لا بقاء للظلمة مع وضوح النور. (إيقاظ الهمم، ص ١٠٤).

يكشف عن ظلمة الجهل ويظهر العلم به، ولذلك قالوا: العلم نور، والجهل ظلمة على وجه الاستعارة.

وأما السر فهو الأمر الخفي الذي لا يدرك فلذلك قالوا في حق الخمرة الأزلية والمعاني القديمة أسرار، وسموا الأرواح بعد التصفية أسراراً لأنها لما تصفت رجعت لأصلها وهي قطعة من السر الجبروتي القديم، فإذا استولت على الأشباح رجع الجميع قديماً، والله تعالى أعلم.

وأما الضمائر والسرائر:

فقيل معناهما واحد، وقيل: السرائر أرق وأصفى كما أن الروح أرق من القلب، لأن الضمائر كل ما خفي في الباطن خيراً أو شراً، والسرائر ما كمن فيه من المحاسن والتحقيق أنهما شيء واحد عبارة عما كمن في الباطن من العقائد والنيات بدليل الآية ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق، ٩] والله تعالى أعلم.

النفس[1]:

بالتحريك قال القشيري: يعنون به ترويح القلوب بلطائف الغيوب.

---

(١) إن الروح ما دامت متظلمة بالمعاصي والذنوب والشهوات والعيوب سُميت نفساً، فإذا انزجرت وانعقلت انعقال البعير سُميت عقلاً، فما زالت تتقلب في الغفلة والحضور سُميت قلباً، فإذا اطمأنت وسكنت واستراحت من تعب البشرية سُميت روحاً، فإذا تصفّت من غبش الحس سُميت سراً لكونها صارت سراً من أسرار الله حين رجعت إلى أصلها، وهو سر الجبروت. (إيقاظ الهمم، ص ١٠٤).

فصاحب الأنفاس أرفع من صاحب الأحوال، ومن صاحب الوقت، فكأن صاحب الوقت مبتدىء وصاحب الأنفاس منتهي، وصاحب الأحوال بينهما، فالأوقات لأصحاب القلوب، والأحوال لأصحاب الأرواح، والأنفاس لأهل السرائر.

قلت: النفس أدق من الوقت فحفظ الأوقات من التضييع للعباد والزهاد وحفظ الأنفاس للعارفين الواصلين واستعمال الأحوال للمريدين بحفظ الوقت حضور القلب فيه وبحفظ النفس حضور السر في مشاهدة الحق.

يقال: فلان طابت أنفاسه إذا صفا مشربه من عين التوحيد من كدورة الأغيار فقوله: في حد النفس ترويح القلوب، أي: خروجها من تعب العسة[1]، ودوام المراقبة إلى راحة المشاهدة بما يبدو لها من لطائف أسرار التوحيد وفضاء الشهود، ثم قال القشيري: وقالوا أفضل عبادة حفظ الأنفاس، أي: دوام الفكرة والنظرة كما قال الشاعر:

من أحسن المذاهب سكر على الدوام
وأكمل الرغائب وصل بلا انصرام

قال أبو علي الدقاق: العارف لا يسلم له النفس، أي: تضييعه إذ لا مسامحة تجري معه والمحل لا بد له من النفس إذ لولا ذلك لتلاشى لعدم طاقته.

فالعارف لما اتسعت معرفته سهل عليه حفظ أنفاسه لسهولة

---

(١) العسة: الحراسة.

حضوره وتمكين شهوده بخلاف المحب، فلضيق حاله لا يستطيع دوام حضوره في خدمته وعلى تقدير سهولتها عليه لفنائه فيها قد تختل بشريته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**روحوا قلوبكم بشيء من المباح**»[1] أو كما قال صلى الله عليه وسلم لحنظلة[2] والصديق[3]: «**لو تدومون كما تكونون عندي لصافحكم الملائكة ولكن ساعة بساعة**»[4].

الفكرة والنظرة:

الفكرة[5] جولان القلب في تجليات الرب، وقال في

---

(١) رواه الديلمي بلفظ «روحوا القلوب ساعة فساعة» مرفوعاً، وأبو داود في مراسيله عن ابن شهاب مرسلاً والقضامي عن الزهري، عن أنس، ويشهد له ما في صحيح مسلم برقم (٢٧٥٠) «يا حنظلة ساعة فساعة».

(٢) حنظلة بن الربيع التميمي، أبو ربعي الأسيدي، يقال له حنظلة الكاتب. روى عن النبي ﷺ، وكتب له، وأرسله إلى أهل الطائف، شهد القادسية ونزل الكوفة، ترك الكوفة لما شتم عثمان بن عفان، وانتقل إلى قرقيسيا، وقال: لا أقيم في بلد يُشتم فيه عثمان. وتوفي بعد علي، وكان معتزلاً للفتنة. (الإصابة، ٢/ ١٣٥)؛ (تهذيب الكمال، (١/ ٤٣٨).

(٣) أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة التيمي، أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ، ومؤنسه في الغار، أول من أسلم من الرجال وشهد مع النبي ﷺ كل المشاهد وهاجر معه، وأوصى النبي ﷺ في مرضه أن يؤم الناس، وتولى الخلافة بعده، وقاتل أهل الردة وسيَّر الجيوش لنشر الإسلام. توفي سنة ١٣ هـ (الإصابة، ٣/ ٤٨)؛ (الطبقات الكبرى ٣/ ١٦٩).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٥٠)، والترمذي برقم (٢٥١٤).

(٥) قال الشيخ زروق رحمه الله: الفكرة انبعاث القوة الإدراكية في عالم الغيب والشهادة ليدرك حقيقة الأشياء على ما هي عليه، ومن وجد ذلك فهو عارف. (إيقاظ الهمم، ص ٤٣٢).

الحِكَم: هي سير القلب في ميادين الأغيار وهذه فكرة الطالبين، وفكرة السائرين، سير القلب في ميادين الأنوار وفكرة الواصلين، سير الروح في ميادين الأسرار.

وترجع إلى فكرتين: فكرة تصديق وإيمان وهي لأهل الاعتبار من عامة أهل اليمين[1]، وفكرة شهود وعيان وهي لأهل الاستبصار من نجباء المريدين[2]، وخاصة العارفين المتمكين، وهي سراج القلب، فإذا ذهبت فلا إضاءة، وهي سبب الغنى الأكبر وبها يتحقق السير ويحصل الوصول، فمن لا فكرة له لا سير له ومن لا سير له لا وصول له.

وكان شيخنا البوزيدي ﷺ يقول: الفقير بلا فكرة كالخياط بلا إبرة.

وأما النظرة فهي أرق من الفكرة وأرفع لأنها مبدأ الشهود فالجولان في الأكوان وهدمها وتلطيفها فكرة، والنظرة في نفسه أو غيره من التجليات، وغيبته عنها بشهود الحق نظرة فإن تمكن من الشهود ودام فيه سُمي العكوف في الحضرة. ولذلك يقال: أول المقامات ذكر، ثم فكرة ثم نظرة ثم عكوف في الحضرة والله تعالى أعلم.

---

(١) وهم أهل الاستدلال يستدلون بالصنعة على الصانع، وهم السائرون إلى الله بأنوار التوجه. (إيقاظ الهمم، ص ٣٤٣).

(٢) لأنهم ترقوا من شهود الدليل إلى المدلول، ومن الأثر إلى المؤثر ومن الأغيار إلى شهود الأنوار، ومن الفرق إلى الجمع، ومن الملك إلى الملكوت، فما يشهدون إلا أنوار الملكوت تدفقت، وانصبت من بحار الجبروت.

الشاهد[1]:

قال القشيري: قد يجري في كلامهم فلان بشاهد العلم، وفلان بشاهد الوجد، وفلان بشاهد الحال، ويريدون بلفظ الشاهد ما يكون حاضر قلب الإنسان وما هو غالب ذكره كأنه يراه ويبصره وإن كان غائباً عنه، وكل ما يستولي على قلب الإنسان ذكره فهو شاهده فإن كان الغالب عليه ذكر العلم فهو بشاهد العلم وإن كان الغالب عليه الوجد فهو بشاهد الوجد.

ومعنى الشاهد الحاضر فكل ما هو حاضر قلبك فهو بشاهدك.

الخمرة والكاس والشراب:

أما الخمرة، فقد يطلقونها على الذات العلية قبل التجلي، وعلى الأسرار القائمة بالأشياء بعد التجلي فيقولون الخمرة الأزلية تجلت بكذا، ومن نعتها كذا وقامت بها الأشياء تستراً على سر الربوبية.

وعليها غنى ابن الفارض في خمريته وإنما سموها خمرة لأنها إذا تجلت للقلوب غابت عن حسها كما تغيب بالخمرة الحسيّة، وقد يطلقونها على نفس السكر والوجد والوجدان.

---

(١) الشاهد: ما يحضر القلب من أثر المشاهدة، وهو الذي يشهد له بصحة كونه مختصاً من مشاهد مشهود إما بعلم لدني لم يكن له فكان أو وجد أو حال، أو تجل أو شهود (قاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص ١٥٣).
قال الطوسي: ما يشهدك ما غاب عنك يعني يُحضر القلب لوجوده. (اللمع، الطوسي، ص ٤١٥).

يقولون: كنا في خمرة عظيمة، أي: في غيبة عن الإحساس كبيرة.

وعلى هذا غنى الششتري حيث قال:

خمرها دون خمري خمرتي أزلية

أي: سكر خمرة الدوالي دون خمرتي.

وأما الكأس الذي تشرب منه هذه الخمرة فهو كناية عن سطوع أنوار التجلي على القلوب عند هيجان المحبة فتدخل عليها حلاوة الوجد حتى تغيب وذلك عند سماع أو ذكر أو مذاكرة.

وقيل: الكأس هو قلب الشيخ فقلوب الشيوخ العارفين كؤوس لهذه الخمرة يسقونها لمن صحبهم وأحبهم.

والشرب حضور القلب واستعمال الفكرة والنظرة حتى تغيب عن وجودك في وجوده، هو السكر.

فالشرب والسكر متصلان في زمن واحد في هذه الخمرة بخلاف خمرة الدنيا.

وقال القطب ابن مشيش: المحبة آخذة من الله قلب من أحب بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله له، وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال، ويتسع النظر لمن شاء الله ﷻ والشراب يسقي القلوب والأوصال والعروق من هذا الشرب.

ويكون الشرب بالتدريب بعد التدريب والتهذيب، فيسقى كل على قدره، فمنهم من يسقى بغير واسطة، والله تعالى يتولى ذلك منه. قلت: وهذا نادر ومنهم من يسقى من جهة الوسائط كالملائكة، والعلماء، والأكابر من المقربين، ثم قال: والكأس مغرفة الحق يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين إلى آخر كلامه، وقد فسرناه في شرح الخمرية.

المريد والفقير والملامتي والمقرب:

أما المريد فهو الذي تعلقت إرادته بمعرفة الحق ودخل تحت تربية المشايخ وقد تقدم.

وأما الفقير[١] فهو الذي افتقر مما سوى الله ورفض كل ما يشغله عن الله، ولذلك قالوا: الفقير لا يَملك ولا يُملك، أي: لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء، فهو أنهض من المريد وأخص لأن المريد قد يكون من أهل الأسباب.

وقيل: الفقير هو الذي لا تقله الأرض ولا تظلله السماء، أي: لا يحصره الكون لرفع همته ونفوذ بصيرته.

وقال بعضهم: شروط الفقير أربعة: رفع الهمة، وحسن الخدمة، وتعظيم الحرمة، ونفوذ العزيمة.

---

(١) الفقير هو الذي لا يملك شيئاً قط وليس له خلل في شيء، وهو لا يصير غنياً بوجود الأسباب، ولا محتاجاً إلى سبب بعدمها، وجود الأسباب وعدمها لدى فقره سواء (هجويري، كشف المحجوب، ص ٢١٦).

وأما الملامتي[1] فقالوا: هو الذي لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً، أي: هو الذي يخفي ولايته ويظهر من الأحوال ما ينفر الناس عنه.

والمقرب[2] هو المحقق بالفناء والبقاء.

قال بعضهم: الفقر والملامتة والتقريب أنواع من التصوف ومراتب فيه، فإن الصوفي هو العامل في تصفية وقته مما سوى الحق فإذا سقط ما سوى الحق من يده فهو الفقير، وإن كان لا يبالي بالناس فلا يظهر خيراً ولا يضمر شراً فهو الملامتي، والمقرب من كملت أحواله فكان ربه لربه، وليس له سوى الحق أخبار ولا مع غير الله قرار.

العباد. والزهاد. والعارفون:

هذه ألفاظ معانيها متقاربة يجمعها معنى التصوف في الجملة، الذي هو قصد التوجه إلى الله تعالى، إلا أن من غلب عليه العمل كان عابداً[3]، ومن غلب عليه الترك كان زاهداً[4]،

---

(١) **الملامتي**: هو الذي لا يظهر خيراً، ولا يضمر شراً، والملامتي تشربت عروقه طعم الإخلاص، وتحقق بالصدق فلا يحب أحد أن يطلع على حاله وأعماله. (عوارف المعارف السهروردي، (١/ ٢٢٥).

(٢) **المقرب**: هو الذي اجتزأ بالعين من عين عينه عن الأثر.

(٣) **العابد**: هم من أهل الفرائض الخاصة، قال الله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء، ٣٧]. ولم يكونوا يؤدون سوى الفرائض (جامع كرامات الأولياء، الشيخ يوسف النبهاني، ١/١/٤٦).

(٤) قال النصرآباذي: الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة. (الرسالة، ص ١١٥).

ومن وصل إلى شهود الحق ورسخ فيه كان عارفاً[1].

فالعباد والزهاد شغلهم بخدمته إذ لم يصلحوا الصريح معرفته، والعارفون شغلهم بمحبته ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء، ٢٠].

الصالحون والأولياء والبدلاء والنقباء والنجباء والأوتاد والقطب[2]

أما الصالحون فهم من صلحت أعمالهم الظاهرة، واستقامت أحوالهم الباطلة.

---

(١) قال الجنيد في وصف العارف: عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هدايته، وصفا شرابه من كأس وده، تجلى له الجبار عن أستار غيبه، فإن تكلم بالله وإن سكت فمن الله، وإن تحرك فبإذن الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله، ومن الله وإلى الله. (منازل السائرين، ص ٢٤٨).

(٢) قال الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في الأعلام (ص ٤٤)، والنجباء والنقباء والأوتاد والغوث، هذه رتب في الولاية اصطلح عليها الصوفية، وهي مأخوذة من سلف الأمة وأئمتها، فعن أبي الطفيل عن علي ﷺ قال: الأبدال بالشام والنجباء بالكوفة رواه ابن عساكر، وروى عنه أيضاً قال: الأبدال من الشام والنجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق. وروى ابن عساكر أيضاً عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول: الأبدال بالشام، والنجباء بمصر، والعصب باليمن، والأخيار بالعراق، وروى الخطيب البغدادي عن الكتاني قال: النقباء ثلاثمائة، والنجباء سبعون والبدلاء أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض والعمل في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فإن أجيبوا =

وأما الأولياء[1] فهم أهل العلم بالله على نعت العيان من الولي، وهو القرب.

وقيل: من توالت طاعتهم وتحقق قربهم واتصل مددهم.

وأما البدلاء[2] فهم الذين استبدلوا المساوىء بالمحاسن،

= وإلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته. والعُمد بضم العين، والميم هو الأقطاب.

(١) قال الزمخشري في الكشاف: الولي من تولى الله بالطاعة، فتولاه بالكرامة، وقال الجلال المحلي في شرح جمع الجوامع، والسعد التفتازاني في شرح العقائد النسفية: الولي العارف بالله حسبما يمكن، والمواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي، المعرض عن الإنهماك في اللذات والشهوات. قال الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتاب الأعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام (ص ٣٨): وهذه الأقوال، وإن كانت في الظاهر مختلفة، فهي في الحقيقة متفقة، إذ ما من ولي إلا وهو متصف بما ذكر فيها من الصفات، ومتسم بغيرها من كريم الخلال.
قال أبو سعيد الخراز: إذا أراد الله أن يوالي عبداً من عباده فتح عليه باب ذكره، فإذا اشتد ذكره فتح عليه باب القرب، ثم رفع إلى مجلس الأنس، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة فإذا عاين ذلك بقي بلا هو، فحينئذ يفني نفسه ويبرأ من دعاويها. (البحر المديد، ٢/ ٤٨٥).

(٢) عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمٰن كلما مات رجل أبدله الله ـ جلّ وعلا ـ مكانه رجلاً». رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٢٨١٨).
وعن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من بني هاشم فيأتي مكة فيستخرجه الناس من بيته وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، فيجهز إليه جيش من =

واستبدلوا المساوئ بالمحاسن واستبدلوا صفاتهم بصفات محبوبهم.

وأما النقباء[1]، فهم الذين نقبوا الكون وخرجوا إلى فضاء شهود الكون.

وأما النجباء[2] فهم السابقون إلى الله لنجاتهم، وهم أهل

= الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم. فيأتيه عصائب العراق وأبدال الشام» أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (١١٧٥)، قال الهيثمي (١٣٩٩): رجاله رجال الصحيح.

وذكر أهل الشام عند سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ وهو بالعراق، فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث، وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب». رواه أحمد برقم (٨٩٩).

وقد كتب فيهم الأئمة رسائل استوفوا طرقها فيها منهم الحافظ السخاوي في رسالته «نظم اللآل في أحاديث الأبدال»، كما استوفى الكلام على ذلك في كتابه «المقاصد الحسنة»، وعقد الحافظ ابن رجب باباً في كتابه «فضائل الشام» (ص ٧٩ ـ ٩٠) كما كتب في ذلك الإمام السيوطي رسالة «الخبر الدال على الأبدال» وهي ضمن فتاويه المطبوعة.

قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»، ومما يتقوى به هذا الحديث ويدل لانتشاره بيد الأئمة، قول إمامنا الشافعي رحمه الله في بعضهم: كنا نعده من الأبدال، وقول البخاري في غيره: كانوا لا يشكون أنه من الأبدال، وكذا وصف غير واحد من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنهم من الأبدال.

(١) **النقباء**: وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهم ثلاثمائة. (التعريفات، ابن عربي، ص ١٣).

(٢) **النجباء**: هم ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم الذين =

الجد والقريحة من المريدين.

وأما الأوتاد[1] فهم الراسخون في معرفة الله وهم أربعة كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة.

أما القطب[2] فهو القائم بحق الكون والمكون وهو واحد، وقد يطلق على من تحقق بمقام وعلى هذا يتعدد في الزمان الواحد أقطاب في المقامات والأحوال والعلوم. يقال: فلان قطب في العلوم، أو قطب في الأحوال، أو قطب في المقامات إذا غلب عليه شيء منها فإذا أريد المقام الذي لا يتصف به إلا واحد عبر عنه بالغوث، وهو الذي يصل منه المدد الروحاني إلى دوائر الأولياء من نجيب ونقيب وأوتاد وأبدال، وله الإمامة والإرث والخلافة الباطنة، وهو روح الكون الذي عليه مداره، كما يشير إلى ذلك كونه بمنزلة إنسان العين من العين ولا يعرف ذلك إلا من له قسط ونصيب من سر البقاء بالله.

وأما تسميته بالغوث فمن حيث إغاثته العوالم بمادته ورتبته

= تبدو منهم وعليهم أعلام القبول من أحوالهم، وإن لم يكن لهم في ذلك اختيار لكن الحال يغلب عليهم، ولا يعرف ذلك منهم إلا من هو فوقهم لا من هو دونهم. (النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ١/ ٤٠).

(١) **الأوتاد**: عبارة عن أربعة رجال منازلهم منازل الأربعة أركان من العالم، الشرق والغرب والشمال والجنوب، مقام كل واحد منهم مقام كل جهة. التعريفات، (ابن عربي ص ١٣).

(٢) **القطب**: هو الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم، في زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام.

الخاصة، وله علامات يعرف بها.

قال القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه[1]: للقطب خمس عشرة علامة فمن ادعاها أو شيئاً منها فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات، ويكرم بالحكم والفصل بين الوجودين وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه وحكم ما قبل وحكم بعد، وما لا قبل ولا بعد وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم وما يعود إليه.

فالعلامة الأولى: أن يكون متخلقاً بأخلاق الرحمة على قدم موروثه ﷺ صاحب حلم ورأفة وشفقة وعفو وعقل ورزانة وجود، وشجاعة كما كان موروثه ﷺ.

والعلامة الثانية: أن يمد بمدد العصمة وهي الحفظ الإلهي والعصمة الربانية، كما كان موروثه ﷺ غير أنها في الأنبياء واجبة وفي الأولياء جائزة، ويقال لها الحفظ فلا يتجاوز حداً ولا ينقض عهداً.

---

(١) أبو الحسن الشاذلي: هو علي بن عبد الله الشاذلي الشريف الحسني، ولد بغمارة سبتة بالمغرب سنة ٥٩٣ هـ وشاذلة مدينة من تونس، وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني وغيره لأخذ العلم، ثم صحب سيدي عبد السلام بن مشيش وبه تخرج وحج مرات، توفي بصحراء عيذاب في مصر وهو قاصد للحج سنة ٦٥٦ هـ. (طبقات الشاذلية الكبرى، ص ١٧٤)؛ (الطبقات الكبرى، ٢/ ٤).

والعلامة الثالثة: الخلافة وهو أن يكون خليفة الله في أرضه أميناً على عباده بالخلافة النبوية قد بايعته الأرواح وانقادت إليه الأشباح.

والعلامة الرابعة: النيابة وهو أن يكون نائباً عن الحق في تصريف الأحكام حسبما اقتضته الحكمة الإلهية، وفي الحقيقة ما ثم إلا القدرة الأزلية.

والعلامة الخامسة: أن يمد بمدد حملة العرش من القوة والقرب، فهو حامل عرش الأكوان كما أن الملائكة حاملة عرش الرحمٰن.

والعلامة السادسة: أن يكشف له عن حقيقة الذات فيكون عارفاً بالله معرفة العيان، وأما الجاهل بالله فلا نصيب له في القطبانية.

والعلامة السابعة: أن يكشف له عن إحاطة الصفات بالكائنات فلا مكون إلا وهو قائم بالصفات وأسرار الذات ومعرفة القطب بإحاطة الصفات أتم من غيره لأنها في حقه ذوقية لا علمية.

والعلامة الثامنة: أن يكرم بالحكم والفصل بين الوجودين، أي: بين الوجود الأول قبل التجلي وهو المعبر عنه بالأزل وبالكنز القديم، وبين الثاني وهو الذي وقع به التجلي، والفصل بينهما أن يعلم أن الأول ربوبية بلا عبودية ومعنى بلا حس وقدرة بلا حكمة بخلاف الثاني فإنه متصف بالضدين ربوبية وعبودية، ومعنى وحس وقدرة وحكمة ليتحقق فيه اسمه الظاهر واسمه

الباطن، فالضدين خاصة بالقبضة المتجلي بها، وأما العظمة المحيطة بها الباقية على كنزيتها فهي باقية على أصلها فافهم.

والعلامة التاسعة والعاشرة: أن يكرم بالحكم بانفصال الأول عن الأول والمراد بانفصال الأول انفصال نور القبضة عن النور الأزلي الكنزي، وهو بحر الجبروت والمراد بما انفصل عنه ما تفرع من القبضة إلى منتهاه من فروع التجليات، أي: في الحال، وأما في المآل فلا انتهاء له لأن تجليات الحق لا تنقطع أبداً فإذا انقضى هذا الوجود الدينوي تجلى بوجود آخر أخروي، ولا نهاية له.

والعلامة الحادية عشرة: أن يعلم ما ثبت في المنفصلات من المزايا والكرامات، أو ضد ذلك يعني في الجملة. وأما التفصيل فمن خصائص الربوبية.

والعلامة الثانية عشر: أن يعلم حكم ما قبل، أي: ما قبل التجلي وحكمه هو التنزيه المطلق لأنه باقٍ على كنزيته لم تدخله الضدان.

والعلامة الثالثة عشر: أن يعلم حكم ما بعد، وهو التكليف في مظاهر التعريف قياماً برسم الحكمة وستراً لأسرار القدوة.

والرابعة عشر: أن يعلم ما لا قبل ولا بعد، أي: علم ما لا قبل لها ولا بعد لها وهي الخمرة الأزلية والذات الأصلية كما قال ابن الفارض:

فلا قبلها قبل ولا بعدها بعد وقبلية الأبعاد هي لها ختم

والعلامة الخامسة عشر: أن يطلع على علم البدء والمراد علمه تعالى الأزلي السابق للأشياء قبل أن تكون، وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم إذ لا يخرج عن علمه تعالى شيء وكل علم وكل معلوم يعود إليه، وهذا هو سر القدر فقد يكاشف القطب على جزئيات منه ولا يشترط إحاطته بكلية الأشياء وجزئياتها، لأن ذلك من وظائف الربوبية وإنما يطلعه الله تعالى على جزئيات من نوع مخصوص.

وقد أشار الشيخ أبو العباس المرسي[1] رحمه الله تعالى إلى شيء من ذلك فقال: ما من ولي كان أو هو كائن إلا وقد اطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه وحظه من الله تعالى.

وقال آخر: ما من نطفة تقع في الأرحام إلا وقد اطلعني الله عليها وما يكون منها من ذكر أو أنثى وهذا من جملة الكرامات التي اتحف الله تعالى بها أوليائه، وقد يكون قطباً كاملاً وهو لم يطلع على شيء من هذه الأمور، إلا أنه عارف بالله راسخ القدم في المعرفة وإذا أراد الله تعالى أن يظهر شيئاً في مملكته اطلعه عليه وقد لا يطلعه، وقد قال عليه الصلاة والسلام **«والله لا أعلم إلا ما علمني ربي»**[2]. قال ذلك حين

---

(١) أبو العباس المرسي: هو أحمد بن عمر أبو العباس المرسي المالكي قطب وقته وخليفة الشاذلي على أصحابه من بعده، أصله من المغرب واستوطن الإسكندرية، وبها مات سنة ٦٨٦ هـ وله ضريح ومسجد ومولد هناك وأهل الإسكندرية يجلونه. (الطبقات الكبرى، ٢/ ١٣)؛ (طبقات الشاذلية الكبرى، ص ١١٤).

(٢) أورده ابن هشام عن ابن إسحاق في مغازيه، (٣/ ٧٤).

ضلت ناقته فلم يدر أين ذهبت فتكلم بعض المنافقين في ذلك، ثم أعلمه الله تعالى بها وبالجملة فالاطلاع على المغيبات من جملة الكرامات وهي لا تشترط في الولي قطباً كان أو غيره، والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

هذا آخر ما جمعناه من حقائق التصوف وشرح ما يتعلق بكل حقيقة جعله الله خالصاً لوجهه الكريم وأدام به النفع العميم على يد جامعه سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني لطف الله به في الدارين آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الفهرست معراج التشوف
إلى حقائق التصوف

